(كلَّا) بين الآراء النحوية، والمقامات البلاغية
(دراسة في القرآن الكريم)

محمد عبد المجيد محمد (*)

الملخص

لقد اختارت الدراسة لفظاً قرآنياً دار حوله جدل وخلاف بين النحويين فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين المفسرين من جهة أخرى وهو (كلا)؛ لأن لها في القرآن الكريم مواقع خاصة، وأثراً خاصاً؛ لأنها تنبئ عن حوارٍ مفتوح تعلو فيه النبرة، ويفيض بالانفعال، ووجودها في السياق ينبه إلى معنى عظيم قد لا يسلِّم المخاطب به للمتكلم من بداية الأمر، فيحتاج إلى هذا الحرف ليقرر معنى يستدعيه السياق، وقد كثرت الأقوال حول دلالتها واختلفت السياقات التي تضمنتها والإشعاعات التي بثتها من موضع لآخر، وهذا ما سيدور. حوله البحث- إن شاء الله - .

ونهدف من هذه الدراسة بيان الخصائص البلاغية للسياق الذي ترد فيه (كلا) مع دراسة تأثيرها المباشر، والبعيد على المخاطب والإشارة في أثناء ذلك إلى جذور المعنى بعدها والمعاني التي تنبئ بها، وتشير إليها قبلها، وأخيراً تحديد مدلولها في المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم، وليس الهدف مجرد تعداد معانيها؛ لأن هذا مما فُرغ منه ممن كتب عن (كلا) ومعانيها: مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه (الوقف على (كلا وبلى) في القرآن الكريم /حققه د / حسين نصار ونشرته كلية الشريعة ببغداد في العدد الثالث من مجلتها سنة : 1967م. وكذلك كتب ابن فارس عنها في كتاب (كلا وما جاء منها في كتاب الله) نشرت ضمن ثلاث رسائل ت/ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي وطبعته المكتبة السلفية / القاهرة 1387هـ . وإن كان ثمة خلاف حول المعاني سنحاول الوقوف على الراجح خلال استقراء السياق ، ومراجعة المفسرين واللغويين ، وترجيح الذي يقتضيه السياق والمقام .

* كلية التربية بالوادي الجديد – جامعة أسيوط

Abstract

I chose the study of rude dogwood house around controversy between grammarians among themselves on the one hand, and between them, and between the commentators on the other hand is (both); because in the Koran own sites, and particular impact; they tell about open dialogue above the tone, and overflowing emotional , and its presence in the context draws attention to the meaning of a great may not be extradited addressee by the speaker of the beginning, setting calls for this character to decide the meaning summoned by context, has abounded statements about its meaning and differ contexts contained and radiation that aired from one position to another, and this is what Sidor. Search around - God willing.-

The aim of this study properties are rhetorical context in which it appears (both) with the study of their direct impact, and run on the addressee and the reference in the meantime to the root meaning then and meanings that predictable, and refer to it before, and finally determine its significance in placements received where in the Quran , and is not intended merely census meanings; because this is something finished him who wrote about (both) and their meanings: Makki ibn Abi Talib al-Qaisi in his book (waqf (both and wear) in the Holy Quran / achieved d / Hussein Nassar and published by the Faculty of Sharia in Baghdad in the third issue of its magazine Year: 1967., as well as wrote Ibn Faris them in (the book (both what came from the book of God) published within three letters T / Abdulaziz Maimani Alrajkota and printed library Salafist / Cairo 1387 AH. though there disagreement over the meanings we will try to stand on the likely through Extrapolation of context, and review interpreters and linguists, and weighting required by the context and place.

المقدمة

الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه ،وزنة عرشه، ومداد كلماته، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونصلي ونسلم على من أرسله الله للناس بوحيه وبيانه، وعلى آله ، وصحبه وأتباعه .... وبعد.

فإن دراسة القرآن الكريم من أعظم القرب لله – تبارك وتعالى – وهو ذروة سنام البلاغة التي لا تسامى ،لأنه معجز في تكوينه إجمالا، وبكل جزء في تركيبه تفصيلاً ،فكل كلمة في القرآن بل كل حرف وضع موضعاً يستحق الوقوف في محرابه طويلاً حتى ندرك بعض ما فيه ،وقد دارت حوله دراسات لا تحصى كثرةً ، وستظل تدور حوله الدراسات إلى يوم القيامة ثم يأتي يوم القيامة بكراً كما نزل –كما أخبر بذلك الصادق –(صلي الله علية وسلم) – وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق ما فيه من المعاني ،والوقوف على اللفظة القرآنية يحتاج إلى مراجعة السياق ؛لأنه من المعلوم أن القرآن أكسب كثيراً من الألفاظ معاني جديدة وأبعاداً إيحائية متعددة ، والحكم على اللفظ المجرد يُفقد الكلمة كثيراً من هذه الإيحاءات؛لأن اللفظة المفردة لا تفيد معنى – كما قال الإمام عبد القاهر –:(والألفاظ لا تفيد حتى تؤلَّف ضربا خاصا من التأليف ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب ، والترتيب)[1]

وقد اختارت الدراسة لفظاً قرآنياً دار حوله جدل وخلاف بين النحويين فيما بينهم من جهة،وبينهم ، وبين المفسرين من جهة أخرى وهو(كلا)؛ لأن لها في القرآن الكريم مواقع خاصة، وأثراً خاصاً ؛لأنها تنبئ عن حوارٍ مفتوح تعلو فيه النبرة ،ويفيض بالانفعال ،ووجودها في السياق ينبه إلى معنى عظيم قد لا يسلِّم المخاطب به للمتكلم من بداية الأمر، فيحتاج إلى هذا الحرف ليقرر معنى يستدعيه السياق ،وقد كثرت الأقوال حول دلالتها واختلفت السياقات التي تضمنتها والإشعاعات التي بثتها من موضع لآخر، وهذا ما سيدور. حوله البحث– إن شاء الله .

التمهيد

أولاً : أهمية دراسة السياق:

من الأهمية بمكان النظر إلى الكلمة في سياقها لمعرفة معناها وتحديد مدلولها وخاصة إذا تعددت الأقوال فيها واختلفت، فالسياق أفضل قرينة تكشف عن حقيقة معنى اللفظ [2]

وتساعد في تحديد المراد منه،وقد عُني المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه، وكان له -

السياق - حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى؛ كأسباب النزول، واللغة، والعموم، وربما قُدِّم على بعضها، أو تحكم بها؛ لتوقف المعنى العام عليه؛ "فإنه عند التفاضل بين هذه القواعد؛ لابد من مراعاة السياق دائماً، فهو المقصود بهذه القواعد، حتى يفهم على وجهه" [3] وقد جعل الشاطبي مراعاة السياق مظهراً من مظاهر الاعتدال في التفسير المفضي إلى الفهم السليم، حين قال: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض[4].

ويظهر أثر السياق جلياً في الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، وربما كان بعضها أقرب إلى الصواب من بعض، وليس ثَمَّ دليل في سياقها الخارجي من آية أخرى، أو حديث، أو إجماع يُستند إليه في اختيار واحد منها، فيلزم والحالة هذه ويحسن أن يُتوجه إلى سياق الآية الداخلي؛ بغية استنطاقه؛ "لأن السياق قوة تحرك التركيب؛ فتنبعث من إشعاعاته ما يلائم"[5]، وذلك بما يتضمنه من إشارات ترجح معنى على آخر، ينبغي أخذها بعين الاعتبار؛ "لأنه إذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح ، وأشد موافقة للسياق؛ كان الحمل عليه أولى" [6][7].

والمتأمل لـ(كلا) وآراء النحويين والمفسرين في معانيها يجد أنهم لم يتفقوا على قولٍ واحدٍ فيها ،ولكن اختلفت أقوالهم فيها على أكثر من قول – كما سنعرض لها – وقد وردت كلا في القرآن الكريم ثلاثاً ، وثلاثين مرة في النصف الثاني من القرآن الكريم ،فالموضع الأول في سورة مريم والموضع الأخير في سورة التكاثر.

قال المرادي :(وليس في النصف الأول منها شيء قيل :وحكمة ذلك أن النصف الأخير نزل أكثره بمكة ،وأكثرها جبابرة ،فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم ،والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول،وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلهم ، وصغارهم)[8]

والمتأمل لهذه المواضع يلاحظ عدة أمور:

منها : أنها وردت في السور المكية التي تعالج قضايا خاصة في مواقف خاصة قد تتشابه من بعض الوجوه وتختلف من بعض الوجوه ،منها أن القرآن المكي يمتاز بالقصر،والقصر مظهر الإيجاز ،والإيجاز مظهر رقي المخاطب وآية فهمه وذكائه بحيث يكفيه من الكلام موجزه ومن الخطاب أقصره،وهذا حال القرشيين في مكة لأنهم كانوا في الذؤابة من قبائل العرب ذكاء ،وألمعية، وفصاحة ،وبلاغة ،وشرفا وشجاعة، فلا بدع أن يخاطبهم القرآن بالقصير من سوره، وآياته رعاية لحق قانون البلاغة ،والبيان في خطاب الذكي النابه بغير ما يخاطب به من كان دونه[9]

ومنها: أيضا أن النداء الغالب في تلك السور للمؤمنين (يأيها الذين آمنوا)

إلا فى سورة الحج فإن فيها خلافاً ،ونداء المؤمنين له طبيعة خاصة ،وأغراض خاصة يمتاز بها عن نداء غيره ، كما أن القرآن المكي يكثر فيه التهديد والوعيد لأنه كان يواجه في قضاياه كثيراً من المعاندين ،وأسلوب التهديد والوعيد له صبغة خاصة في التكوين البلاغي تتطلب أدوات خاصة في السياق تتميز بالشدة ،والحدة التي تمثل (كلا)مظهراً من مظاهرها،ولأن السور المكية تضمنت الحديث عن الشيطان ، وصراعه مع آدم عليه السلام ، والقرون الماضية ، وهذه المعاني لها تركيب خاص لما احتوته من صراع فكري ، وجدل عقلي كان من الضروري أن يطرق سمع المخاطب المنكر، ويهزه هزاً عنيفاً ، ويلفته إلى الحقائق التي يغفل ، أو يتغافل عنها،و(كلا)من أنسب الحروف لتحقيق هذه الأغراض.

ومنها : أنَّها تناولت الحديث عن أهوال القيامة ، والجنة والنار ،ومثل هذه القصص ، والموضوعات تكثر فيها وسائل التنبيه والإيقاظ - أيضا - لعظم ما يتعلق بها من معان ،وأغراض ؛ولأن أكثرها معان غيبية لم يعرفها المخاطبون فاحتاجت لأدوات خاصة لتقريرها منها (كلا).

كما كثر فيها أساليب التصوير بمختلف الأشكال البلاغية من تشبيه ، واستعارة ، وكناية مع التصوير بالجمل الوصفية ، وجرس الألفاظ والموسيقى الداخلية ، وغيرها من الوسائل البارعة التي استخدمها القرآن في ذلك ، وقد جاء حرف الردع ، والزجر (كلا) فيها في موقعه المناسب من تلك الصور[10].

وطبيعة مواضع (كلا) وتمركزها في النصف الثاني ،وفي القرآن المكي كان مثار جدل بين العلماء في تحديد مدلولها .

<u>ثانيا : سبب اختلاف النحويين ،والمفسرين في دلالة (كلّا)</u>

اختلفت أقوال النحويين في (كلّا)بين البساطة والتركيب كما اختلفت أقوالهم وأقوال المفسرين في تحديد مدلولها ، وسر اختلاف النحويين والمفسرين في (كلا) يرجع إلى سببين أساسيين :أحدهما يرجع إلى طبيعة هذا الحرف ، والآخر يرجع إلى طبيعة استعماله ، والسياق الوارد فيه .

فإذا تأملنا طبيعة تكوينه ، وطبيعة الحروف التي شكّلت (كلا) وهي (الكاف ،واللام المشدّدة ، والألف) ، ومخرج الكاف من اللهاة ،وهي اللحمة المشرفة على الحلق بينه ،وبين الفم ،ومخرج اللام من حافتي اللسان إلى منتهى طرفه ،وما يحاذيه من الحنك الأعلى ،ومخرج الألف هو الجوف ،وبإعادة النظر في مخارج حروف الكلمة يتبين أن النطق يبدأ فيها من موقع متوسط حيث مخرج الكاف ،ويتقدم خارجا جهة الفم حيث مخرج اللام ، ولا ننسى أنها مشددة ، ثم يرجع إلى أقصى الحلق ، وهو مخرج الألف ، وهو حرف هوائي ينتشر في الفم ، والحلق متصعداً ، وبذلك تشغل هذه الكلمة مساحة كبيرة من مراكز النطق فتخرج ملء الفم ، والسمع ، ويكون

لها وَقْعٌ يشبه مدلولها.

فإذا نظرنا إلى صفات هذه الحروف أدركنا جانباً آخر من أسرار هذه الكلمة حيث إننا نجد أن من صفات الكاف الشِّدة ،وشدة الحرف تعني لزومه موضعه ، وقوته فيه حتى يحبس الصوت عند لفظه لقوة الاعتماد عليها، وهذه الصفة متوسطة في اللام ، وفي كل من الكاف، واللام صفة الانفتاح ،وهي من صفات القوة بالإضافة إلى أن اللام فيها من صفات القوة الجهر ، والانحراف ، والإذلاق .

يزيد هذا اللفظ قوة في تكوينه أن اللام مضعَّفة ،ثم إن وقوع الألف في آخر هذا اللفظ يعطي المتكلم فرصة لمد الصوت إلى أبعد ما يستطيع لطول المسافة التي يقطعها الصوت لصدوره من الجوف ، وانتشاره في الحلق ، والفم متصعداً نحو الخارج ،وبهذا التكوين كان هذا اللفظ أنسب الألفاظ لبث شحنة العواطف الثائرة ، والدلالة على الرفض المتصاعد إلى حد الزجر والردع .

لكنَّ تصدره للجمل المستأنفة ، وفي ابتداء الكلام كان سبباً من الأسباب التي جعلت كثيراً من العلماء يترددون في القطع بدلالته على معنى واحد معين .

ثم إن هذه الخصوصية في تكوين هذا اللفظ جعلته يتميز بقوة إيحائه ، وعمق أثره فيما يتلوه مع ارتباطه الشديد بما سبقه ،أضف إلى ذلك تأثيره القوي المسيطر على المخاطب الذي لا يملك بعد سماعه إلا الإنصات حتى يبلغ المتكلم مداه في تقرير المعنى .

أما السبب الثاني ؛فإنه يرجع إلى طبيعة استعماله ، والمعنى الوارد فيه ؛لأن وروده في عبارة يشير إلى حوار مفتوح لأن النغمة الصوتية لهذا اللفظ لا تنخفض في آخرها لبقاء الكلام في حاجة إلى التمام فلم يعهد عن العرب أن يقول أحد في رد كلام (كلا) ويسكت ، بالإضافة إلى أنه حرف جواب أصلاً ، وبذلك يجعل هذا اللفظ الكلام مفتوحاً غير مغلق .

ثم إن من طبيعة هذا اللفظ الترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقررات العقلية ؛لأنه يعكس انطباع المتكلم في رده على المحاور وبحسب درجة انفعاله تتشكل درجة القوة المنبعثة من هذا اللفظ ارتفاعاً ،وانخفاضاً مع شعور المتكلم حال النطق ، وهذا التماوج يجعل مدلول اللفظ في تماوج مماثل ،لأن اللغة في حقيقتها ترجمة عن مشاعر الإنسان وانفعالاته ورغباته،هذا من ناحية،ومن ناحية أخرى نجد أن تركيب السياق واختلاف المقام الذي يرد فيه هذا اللفظ له تأثير كبير في إيحائه وإشعاعه – خاصة في العبارة القرآنية ، وهذا ما سيتضح – إن شاء الله – خلال الدراسة مع تتبع مواضع(كلا) في المقامات المختلفة في القرآن الكريم .

فلا شك أن من يستشعر مدلول (كلا) وإشعاعها وتأثيرها في خطاب كافر

كالوليد بن المغيرة ،أو العاص بن وائل السهمي ،أو غيرهما من الكافرين ،ومدلولها في خطاب النبي (صلي الله علية وسلم) أو في خطاب المؤمنين سيلمس اختلافاً بينهما ومن هنا نجد تبايناً في تحديد مدلول هذا الحرف على المستوى اللغوي ،واختلافاً على مستوى السياق .

ثالثا : دلالة (كلّا) وآراء العلماء فيها .

(كَلاَّ) فيها قعقعة الرَدْع ،ومعنى التنبيه وقوة الزَجْر ومعناها انْتَهِ لا تَفْعَل إلا أنها آكَدُ في النفي والرَّدْع من لا لزيادة الكاف[11] فهي حرف ردع ،وزجر عن مضمون كلام سابق من متكلم واحد أو من كلام يحكي عن متكلم آخر أو مسموع منه ،والأكثر أن تكون عقب آخر الكلام المبطل بها ،وقد تُقدَّم على الكلام المبطل للاهتمام بالإبطال ،وتعجيله والتشويق إلى سماع الكلام الذي سيرد بعدها ،وقد يرد بمعنى (ألا) الاستفتاحية فتكون تنبيها لما بعده ،وقد يكون بمعنى (حقاً) ،أو يكون حرف جواب بمنزلة (إي ،ونعم).

(قال ابن هشام : (كلا) مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية قال، وإنما شُدِّدت لامها لتقوية المعنى ،ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين وعند غيره هي بسيطة ، وهي عند سيبويه ،والخليل ،والمبرد ،والزجاج ،وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر لا معنى لها عندهم إلا ذلك حتى إنهم يجيزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها .

ورأى الكسائي، وأبو حاتم ،ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا فيها معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها، ويبتدأ بها ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال:

أحدها : للكسائي ومتابعيه ، قالوا : تكون بمعنى (حقاً) ،والثاني : لأبي حاتم ،ومتابعيه ، قالوا: تكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية .،والثالث: للنضر بن شميل والفراء ومن وافقهما قالوا تكون حرف جواب بمنزلة(إي،ونعم)وحملوا عليه(كَلَّا وَالْقَمَرِ)[12] فقالوا معناه : إي والقمر ،وقد رجَّح قول أبي حاتم لأنه أكثر اطراداً .[13]

وقد عرض ابن فارس لآراء العلماء في (كلا) وخلص من ذلك إلى أربعة أقوال :

الأول : الرد والاستئناف ،القول الثاني : أنها تكون للردع والزجر ، القول الثالث : أنها لتحقيق ما بعدها، القول الرابع : أنها صلة لليمين مثل (ألا)[14] وزاد بعضهم معنى خامساً أن تكون بمعنى (إي) فتكون حرف تصديق .

فخلاصة الأقوال في المعاني التي ترد لها (كلا)خمسة معانٍ ،وسنحاول خلال استعراض السياق أن نقف على المعاني التي تؤديها (كلا) ، وأثرها ،وطبيعته

،وخصائص سياقها البلاغية في المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم .

الفصل الأول

(كلَّا) في سياق الرد على الكافرين

المبحث الأول : في سياق الرد على العاص بن وائل السهمي .

وردت (كلا) في سياق الحديث عن الكافرين،والمعاندين لرد كيدهم ،ودحض حججهم ،وبيان ضلالهم ،لأن طبيعة أولئك العناد ، والعصبية ، لذلك نجد لهذا الحرف في هذا المقام أثراً بارزاً يتساوق مع نمط الشخصية المتسلطة ذات النفوذ .

وورود (كلا) في سياق خطاب الكافر المتسلط يمثّلُ عامل ردع ، ووسيلة زجر تزلزل وجدانه ،وتهز مشاعره المتحجرة ؛ لأنه لم يعتد ، وهو صاحب السطوة ، والقوة والعصبية أن يُجَابَه بمثل هذا الأسلوب ،الذي اعتاد هو أن يخاطب به غيره من الناس إدلالاً عليهم بقوته ، واغتراراً بماله فإذا ما خوطب بهذا النسق من الكلام أدرك في وجدانه قوة أعلى من قوته ،وسلطاناً فوق سلطانه ، وسرى في نفسه من ظلال الكلمات ، ووحى النسق العالى ما يدرك خلاله أن مصدره من أعلى، وهو ما يقف به زمناً قد يطول ،أو يقصر يفكر فيه في حقيقة الدعوة ، وحقيقة أفعاله التي يمكن أن تؤدي به إلى الوقوع تحت سطوة من لا يطيق له عناداً .

وهذا يفسر كثرة ورود هذا الحرف في خطاب الكافرين ، وتكراره في السياق الواحد أكثر من مرة – كما سنرى - لأن السياق يأتي في النسق القرآني لتحقيق أهداف معينة ، تتحقق هذه الأهداف عندما يبلغ في نفس المخاطب درجة من التأثير تتساوق مع طبيعته ، وهو بناءٌ للسياق على وفق مقتضى حال المخاطب مما يجعل له أعظم الأثر عليه ،وقد وردت (كلا)في سياقات مختلفة منها ما ورد في الرد على جماعة الكافرين ،ومنها ما ورد للرد على كافر معين .

لأن طبيعة الخطاب القرآني تضيف لمحات في تركيب السياق تعطيه صلاحية لكل من وافقت حاله تلك الحالة وعلى هذه الشاكلة ما ورد في الرد على العاص بن وائل السهمي أحد رموز الكفر في مكة حينئذ في قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً، كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً)[15].

والمتأمل لهذا السياق القرآني يجد أنه بُني بناءً يتناسب مع الحدث ، ويصور حجم الخطأ ،ويسجل على المجرم ما أحدث،وذلك بأساليب في قمة الوفاء بالمعنى ،قبل (كلا) وبعدها ،وقد صار في تدرج في تصعيد المعنى حتى بلغ قِمَّته عند(كلا) التي أوقفت الحوار لتردَّ على الطاغي ، ثم استأنف الحوار ببيان العقاب .

وقد بدأ السياق بإثارة سؤال يلفت الانتباه ، ويضمن الإنصات ، ويصرف

العقول إلى الانشغال بمضمون القضية التي يريد أن يقررها عن طريق التعجيب منها بالاستفهام في قوله (أفرأيت) ثم إنه عبَّر بالرؤية عن العلم عن طريق الاستعارة، نُزِّلت القصة منزلة الشيء المشاهد بالبصر؛ لأنه من أقوى طرق العلم ، وقد عبَّر عن المسند إليه (الكافر) بالموصول(الذي) لما في الصلة من منشأ العجب ، ولا سيما قوله (لأوتين مالا وولدا)، والمقصود من الاستفهام لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة ، أو إلى تذكرها إن كان عالماً بها، وقد بدأ بداية قوية تتناسب مع موضوعه ،ومع النموذج المذكور ، ثم إنَّه صاغ القول المحكي على لسان الكافر في أعلى درجات التوكيد (لأوتين مالا وولدا) حيث أكَّد الكلام باللام الموطئة للقسم ، ونون التوكيد المتصلة بالفعل المضارع ثم تنكيره للمال تعظيما أي مالا عظيما ،وكذلك الولد ،فإنه يشير إلى قمة التعالي والكبر،والغرور والتآلي على الله بالخوض حتى في الغيبيات .

ثم إنه ارتقى بإحساس المخاطبين بالانفعال درجة أخرى عن طريق الاستفهام الإنكاري التعجيبي في قوله :(أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً) فقد جاء رداً على كبر هذا الكافر ،وغروره وجواباً لكلامه بأسلوب الحكيم بحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده حين يبعث .

ثم جاء حرف الردع والزجر (كلا) كفيصل قوي بين افتراء هذا الكذاب ، وبين الحق يرد ادعاءه ، ويبين أن الأمر على خلاف ما يعتقد ، أو يزعم هذا الكافر ، قال الزمخشري : (كلا ردع وتنبيه على الخطأ أي : هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ، ويتمناه فليرتدع عنه)[16] وقال ابن هشام : والأرجح حملها على الردع لأنه الغالب فيها. [17] أما ابن فارس فقد قال تعليقا على هذه الآية :(أي أنه لم يطلع ولم يتخذ العهد ، وأصوب ما يقال في ذلك أن (كلا) ردٌّ للمعنيين جميعا ، وذلك أن الكافر ادعى أمراً فكُذِّب فيه ،ثم قيل أتراه اتخذ عهدا أم اطلع الغيب ؟ كلا أي :لا يكون ذا ، ولا ذاك)[18]

ومعنى الردع والزجر واضح صريح في هذا الموضع ، ويؤكد صحة رأي من قال إنَّها في هذا الموضع للزجر والردع ؛ لأن الرد الذي أشار إليه ابن فارس ، ومن وافقه مفهوم من الاستفهام الإنكاري التعجبي في قوله : (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أي ما كان هذا ، ولا ذاك ،كما أن معنى الزجر والردع يتساوق في الرد على عبارة هذا المتكبر بكل عناصر التوكيد التي تشير من قريب إلى مدى تعاليه ، وغروره في قوله المحكي (لأوتين مالا وولدا).

وتتجلى بلاغة استخدام (كلا) في هذا الموضع في أنها مثَّلت لحظة التصحيح لخطأ المعتقد ،وإبطال الزعم الفاسد ، وإيقاف تيار فكر الكافر المعاند الذي جرفه بعيداً عن شاطئ الحق كما أنها تمثِّل نقطة تحول في الحوار من بيان أصل

الخطأ، والإنكار علي الكافر إلى تقرير الرد ،وبيان العقاب ،فبيان الخطأ بتقرير كفر هذا الكافر بالله ،وزعمه بأنه سيؤتى مالا وولدا ،والإنكار عليه في اطلاعه الغيب واتخاذه العهد ،والرد بالنفي المفهوم من (كلا) وبيان العاقبة بأنه سيسجل عليه قوله ، ثم يأتي يوم القيامة عارياً من المال، والولد الذي زعم أنه سيؤتاه،أضف إلى ذلك نبرة الزجر والردع الذي يشيعها هذا الحرف بالمدلول ، قال الإمام البقاعي : (ولما كان كلٌ من الأمرين – إطلاع الغيب واتخاذ العهد وكذلك ما ادعاه لنفسه ،وما يلزم من اتخاذ العهد من القرب – منتفياً قال (كلا) أي لم يقع شيء من هذين الأمرين ولا يكون ما ادعاه فليرتفع عنه صاغراً [19].

الموضع الثاني:

وهو متصل بسابقه في الحديث عن ألوان الكفر،وطرق الفجور التي تبين خطأ هؤلاء ،وتحذر غيرهم من التلبث بأفعالهم لأنها تذكر فعلا بعاقبته ، ومقدمة بنتيجتها ، قال تعالى : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ،كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا)[20] و(كلا) هنا كسابقتها تستمد معناها من نفس السياق الذي ينبض بالقوة في مواجهة فكرية لإبطال زعم الكافر الذي يريد أن يستصحب وسائل عتوه في الدنيا معه إلى الآخرة.

وهي تردُّ على جماعة الكافرين الذين اتخذوا من دون الله شركاء بغية التَّقَوي بهم ، ورجاء النصر منهم ،والشرك أكبر الذنوب ،والرد عليه يستلزم أداة لها مع النفي خاصية الزجر والردع ،وقد جاءت (كلا) في هذه الآية لتبطل غرض هؤلاء الكافرين من اتخاذ غير الله إلها ليتعززوا به من دون الله ،ولتعلن انقلاب غرضهم عليهم ، وتحوِّله إلى عداوة .

وسياق الآية فيه معنى الإنكار على المشركين ، والتشنيع بفعلهم ؛ لأنهم أقدموا على الشرك الأكبر باتخاذ غير الله إلها ،ومن مظاهر هذا الإنكار في تركيب الآية الكريمة البداية بالتعبير بالاتخاذ إشارة إلى أن تلك الأصنام لم تكن آلهة ،وإنما هي من فعلهم ، ثم الجار والمجرور (من دون) الذي يشير إلى مدى سوء التصرف بترك التعزز بالعزيز وطلب ذلك من حجارة لا تضر ، ولا تنفع مع ما يشير إليه لفظ (دون) من التدني في الاختيار بطلب العز من هذه التماثيل ، ثم إن إضافة الظرف لله في قوله : (من دون الله) تصعيد للإحساس بجرمهم ، وتنكير لفظ (آلهة) لتحقيرها ثم الفعل المضارع المتصل باللام لبيان غرضهم من اتخاذ الآلهة (ليكونوا) ، ومن المناسب أن تأتي (كلا) تحمل الزجر والردع ، وتعلن خيبة أملهم فيما اعتقدوا ،وزعموا ،والسياق يؤيد الرأي القائل بأنها للردع ، والزجر ، وهو رأي الزمخشري[21] وابن هشام [22].

المبحث الثاني : في سياق مناظرة فكرية لإبطال زعم المشركين

وردت (كلا) في إطار مناظرة فكرية هادفة إلى تقرير الحقائق ، وإبطال معتقدات الكافرين الفاسدة وصولاً بالعقول إليها بطريقة مقنعة تُبْنى على حوار يصل إلى غايته من أقرب طريق في قوله تعالى:(قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (23).

وقد وردت (كلا) في الموضع المؤثر من الحوار بين الحق ،والباطل الذي يتسم بالجدل العقلي المبني على البراهين التي تصل في نهايتها إلى تأكيد ألوهية الله، وإبطال ألوهية غيره ، وقد جاءت (كلا) لتحقيق هذا المعنى ، والفصل في القضية مع الزجر للكافرين ،والرد لقولهم .

والمتأمل للسياق في هذا الموقف يجد أن (كلا) سبقت بعدة أساليب تتسم بالقوة كأسلوب الأمر الذي بدأت به الآية في قوله :(قل أروني) تحدياً ،وتعجيزاً لهم يهز وجدانهم هزاً عنيفاً حتى يسقط بنيان المعتقد الخاطئ خلال صرفهم إلى المقارنة بينه ،وبين ما يعبدون ، وانتقالاً من الاحتجاج على بطلان إلهية الأصنام بدليل النظير في قوله(قل من يرزقكم) إلى إبطال ذلك بدليل البداهة .

ثم إنَّ التعبير عن هؤلاء الشركاء بالموصول (الذين) لتنبيه المخاطبين لخطئهم في جعلهم شركاء لله - تعالى- في الربوبية ، وفي جعل الصلة (ألحقتم) إيماء إلى أن تلك الأصنام لم تكن موصوفة بالإلهية في ذاتها ،ولكن المشركين ألحقوها بالله -تعالى- تبعا لأهوائهم(24) .

ثم جاء حرف الردع، والزجر (كلا) لإعادة الأمور إلى نصابها، ووضع الحقائق في مواضعها بتنزيه الله عن الشريك والتأكيد على أنه العزيز الحكيم ، وطبيعة المعنى الذي استدعى هذا الحرف ، وهو اتخاذ الشريك مع الله – تعالى الله – يستلزم ردَّ افترائهم ؛ لأن الشرك بالله أعظم الذنوب ، ثم إن تذييل الآية بصفتي العزة مع الحكمة تستلزمان إبطال زعمهم ، وردَّ افترائهم عن اتيان هذه الكبيرة التي لا يغفر لصاحبها إن مات مصراً عليها.

قال ابن فارس:(وأما قوله في سبأ (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

فلها ثلاثة مواضع :

الأول : أن تكون رداً على قوله (أروني) أي: إنهم لا يرون ذلك ،وكيف يرون شيئا لا يكون ؟!.

الثاني : قوله (ألحقتم به شركاء) فهو رد له أي :لا شريك له .

الثالث : أنها تحقيق لقوله :(بل هو الله العزيز الحكيم).

ثم ذكر قولاً لبعض أهل التأويل (أنها رد على قوله : (ألحقتم به شركاء دون

أن يكون رداً على قوله (أروني) وذلك أن النبي -(صلي الله علية وسلم) - لما أمر بأن يقول لهم (أروني) قال لهم ذلك فكأنهم قالوا هذه هي الأصنام التي تضرنا ، وتنفعنا ، فأروه إيَّاها ، فرد عليهم بقوله (بل هو الله) أي : إن الذي يضركم ، وينفعكم ، ويرزقكم هو الله [25]

قال أبو حيان :في معنى كلا في الآية(والظاهر هنا أنها رد لقوله(ألحقتم به شركاء) أي : لا شريك له ؛ لأن مناط الأمر هو إلحاق شركاء بالله – عز وجل – وليس مناط الأمر على الرؤية ، وليس أيضا على التحقيق من أنه هو الله العزيز الحكيم لأنه أمر لا يعنيهم .[26]

والأرجح هو قول أبي حيان ، لأن القضية مناط الحكم هي اتخاذهم الشركاء ، وما سبق في الآية من الأمر الصادر على سبيل التحدي والتعجيز في قوله (أروني) أسلوب حجاج عقلي لصرفهم إلى التفكير في الحقيقة التي عموا، أو تعاموا عنها حين اتخذوا هذه الآلهة شركاء لله – تعالى – .

وقد تجلت بلاغة استخدام (كلا) في أنها مثّلت نقطة توقف ، ولحظة تفكير بعد أن أوقفهم بالأمر السابق على حقيقة القضية ثم ردَّهم إلى ما غفلوا ، أو تغافلوا عنه من أن الله وحده هو المستحق للعبادة ،وأن هؤلاء الشركاء لا يضرون ،ولا ينفعون ،والله هو صاحب العزة التي يسعون إليها ،وهو صاحب الحكمة التي خاطبهم بمقتضاها ، وأرسل إليهم رسله بموجبها .

<u>المبحث الثالث : في سياق الرد على الوليد بن المغيرة</u>

وردت (كلا) في مقام الرد على الكافرين في سورة المدثر ، وهي سورة ذات طبيعة خاصة فقد بدأت بنداء علوي لانتداب النبي (صلي الله علية وسلم) للمهمة العظمى ، وإنقاذ البشرية من عصور الجور إلى دروب النور ، ودعته إلى التهيؤ لذلك ظاهراً ، وباطناً بكل ذرة في جوارحه ،كما حملت تهديداً، ووعيداً لمن يحارب الله ورسوله في سياق الحديث عن جبار متكبر هو الوليد بن المغيرة في قوله تعالى:(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً،وَبَنِينَ شُهُوداً، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أزيد ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ، سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً)[27].

والمتأمل لموضع (كلا)في هذا السياق يجد أنها يسبقها ، ويحدوها تهديد ، ووعيد لهذا الكافر المتكبر ، وكل من على شاكلته فقد سبقت بأسلوب الأمر الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى التهديد والوعيد (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي(دعني) وهي كلمة تهديد ووعيد والمعنى : دعني والذي خلقته حال كونه وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد هذا على أن وحيداً منتصب على الحال من الموصول أو من الضمير العائد إليه المحذوف .

ويجوز أن يكون حالاً من الياء في ذرني : أي دعني وحدي معه فإني

أكفيك في الانتقام منه والأول أولى، قال المفسرون : وهو الوليد بن المغيرة قال مقاتل : يقول خل بيني وبينه فأنا أنفرد بهلكته وإنما خص بالذكر لمزيد كفره وعظيم جحوده لنعم الله عليه ، وقيل: أراد بالوحيد الذي لا يعرف أبوه ،وكان يقال في الوليد بن المغيرة أنه دعي [28].

سبقت (كلا) أيضا بتوكيد بالمصدر المؤكد لعامله (تمهيداً) (والتمهيد هنا مستعار لتيسير أموره ونفاذ كلمته في قومه بحيث لا يعسر عليه مطلب ولا يستعصي عليه أمر ،وأكد (مهدت) بمصدره على المفعولية المطلقة ليتوسل بتنكيره لإفادة تعظيم ذلك التمهيد .

ثم جاءت (كلا) ردعاً، وإبطالاً لطمعه في الزيادة من النعم وقطعاً لرجائه ،والمقصود إبلاغ هذا إليه مع بعث الطمأنينة في قلب النبي (صلي الله علية وسلم) بأن الوليد سيقطع عنه مدد الرزق لئلا تكون نعمته فتنة لغيره من المعاندين فيغريهم حاله بأن عنادهم لا يضرهم لأنهم لا يحسبون حياة بعد هذه)[29].

والمتأمل للأثر البلاغي لـ(كلا) وموضعها في السياق يجد أنها وضعت موضعا بلغ الغاية في الدقة ، والإصابة فقد سبقت بأسلوب أمر للتهديد والوعيد (ذرني) تلاه تعريف لهذا الشقي يطبع َسمْتَه على كل من كان على شاكلته وقد تلاها وعيد أشد يزلزل الوجدان بسبب عناده (سأرهقه صعودا) وجاءت (كلا) بينهما لتنتقل بالحوار من الدنيا وما كان يصنع هذا الشقي المعاند إلى الآخرة وما سيلاقي فيها من عذاب الله .

ثم إن قعقعة هذا الحرف صدرت في هذا السياق المستفيض بالتهديد ، والوعيد كصرخة مدوية تُنهي مدده من النعيم وتصله بمدده من الجحيم ،ثم إن هذه القعقعة التي دوَّت في سمع هذا الكافر من هذا الحرف همست في أذن الرسول (صلي الله علية وسلم) ببشارة بقطع المدد عن هذا الكافر في الدنيا حتى لا يغتر الكافرون بعتو هذا الكافر مع سلامته ، فيفعلوا فعله .

وقد تبع (كلا) بجملة (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً)وهي تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوتي ما أوتي استدراجا، قيل: ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك[30].

ثم إنه أكد الجملة بـ(إن) مع اسمية الجملة واستخدم فعل الكينونة في الماضي إشارة إلى تحقق العناد الذي آل به إلى هذا المآل، وجملة (سأرهقه صعودا) تمثيل لضد الحالة المجملة في قوله (ومهدت له تمهيداً) أي سينقلب حاله من حال راحة وتنعم إلى حالة تعب ،وشقاء في الدنيا ثم إلى العذاب الأليم في الآخرة ، وكل ذلك إرهاق له.

والسياق يؤيد القول القائل بأنها ردع وزجر لأنها وردت في الرد على جبار عنيد بلغ به غروره وعناده لأن يعاند الله ورسوله ، ويصف القرآن بأنه أساطير الأولين ، ومثل هذا النموذج يحتاج إلى أسلوب خاص في الحوار ،وطريقة معينة في الرد ،وأداة لها خصوصية في الإبطال ، و(كلا) أنسب أداة لذلك ؛ لأنها تحمل مع الرد زجراً وردعاً يتساوق مع نفس هذا المتكبر الجامحة ، ورغبته الطامحة إلى الفساد ، والإفساد .

وحملها ابن فارس على الرد لطمعه في الزيادة أي لا يزاد [31]والقول بأنها للردع أليق بالسياق مع تضمن الردع للرد دون العكس.

المبحث الرابع: في سياق الرد على منكري البعث

وردت (كلا)في سورة الانفطار ، وهي تتحدث من بدايتها عن أهوال القيامة ، وما يتبعها من تغيرات كونية فوق تصور البشر ،وحديث السورة في هذا المعنى حديث معجز لا يتأتى لبشر أن يخوض فيه برأيه ، أو حتى يخطر بباله ،ولم يسبق لأهل مكة أن يسمعوا حديثاً عن مثل هذه التغيرات الكونية ومن ثَمْ تأخذ السورة بمجامع قلوبهم ، وتملك أفهامهم وهي تقرر الحقائق المقصودة بسوق هذه الآيات ، وتقرير البعث ، والخلود ، واللفت إلى نعمة الله على خلقه ولزوم عبوديته .

ثم جاءت (كلا) رداً على جحود الإنسان ،وغروره ،وإنكاره للبعث ،في سياق حمل في طياته التنبيه ،والتعجيب من حال هذا الإنسان في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ،الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ، كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)[32].

فقد سبقت (كلا) بالنداء في قوله (يا أيها الإنسان) وتركيب جملة النداء من حرف واسم مراد به الإقبال حقيقة ، فأداة النداء قائمة مقام (أدعو)[33]وليس هناك جملة مفيدة تتكون من حرف واسم إلا في النداء كما ذكر الإمام عبد القاهر قال :(وجملةُ الأمرِ أنَّه لا يكونُ كلامٌ من حرفٍ وفعلٍ أصلاً ولا من حرفٍ واسمٍ إلا في النِّداء نحو : يا عبد الله . وذلك أيضاً إذا حُقق الأمرُ كان كلاماً بتقديرِ الفعلِ المُضمرِ الذي هو أعْني وأريد وأدعو و " يا " دليلٌ على قيام معناهُ في النفس)[34].

وتَضمُّنُ النداء للدعوة أمر مشوق لافت للانتباه فهو منبئ بمهم يليه ، والنداء هنا مراد به التنبيه ،وليس مستعملا في حقيقته إذ ليس مراداً به طلب إقبال ولا هو موجهاً لكل من يسمعه بقصد أو بغير قصد .

والتعريف في (الإنسان) تعريف الجنس وعلى ذلك حمله جمهور المفسرين أي ليس المراد إنساناً معيناً وقرينة ذلك سياق الكلام مع قوله عقبه (بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين)،وهذا العموم مراد به الذين أنكروا البعث بدلالة وقوعه عقب الإنذار بحصول البعث ويدل على ذلك قوله بعده (بل تكذبون بالدين)

فالمعنى : يا أيها الإنسان الذي أنكر البعث، ولا يكون منكر البعث إلا مشركا ؛لأن إنكار البعث والشرك متلازمان يومئذ فهو من العام المراد به الخصوص بالقرينة ، أو من الاستغراق العرفي ؛ لأن جمهور المخاطبين في ابتداء الدعوة الإسلامية هم المشركون .(35)

والاستفهام في قوله :(ما غرك بربك الكريم ؟) و (ما) استفهامية عن الشيء الذي غر المشرك فحمله على الإشراك بربه وعلى إنكار البعث والاستفهام بغرض الإنكار ، والتعجيب من الإشراك ،أي لا موجب للشرك . وإيثار تعريف الله بوصف (ربك) دون ذكر اسم الجلالة لما في معنى الرب من الملك والإنشاء والرفق ففيه تذكير للإنسان بموجبات استحقاق الرب طاعة مربوبه فهو تعريض بالتوبيخ ،وكذلك إجراء وصف الكريم دون غيره من صفات الله للتذكير بنعمته على الناس ، ولطفه بهم ، فإن الكريم حقيق بالشكر ، والطاعة.

وقوله (كلا بل تكذبون بالدين) إذا نظرنا إلى معنى (كلا) باعتبار ما سبقها نلاحظ اتصالها بالمعنى السابق حيث إنها كانت نتيجة متوقعة لمقدمة سبقتها تلك المقدمة هي إنكار الله على الإنسان كفره بنعمه ، وغروره بكرم ربه الذي خلقه ، وصوَّره في أحسن صورة ، وهذا المعنى يستلزم الردع ، ويتسق مع الزجر ،ومن ينظر إلى اتصالها بما بعدها يجد أنها تقرر حقيقة واقعة ، وهي تكذيب الناس بيوم الجزاء ،وهذا الاتصال الوثيق بما قبلها ، وما بعدها جعل العلماء يختلفون في تحديد مدلولها فقد نظر ابن فارس إلى صلتها بما بعدها فجعلها للتحقيق (36).

بينما نظر أبو حيان إلى صلتها بما سبقها ، وما لحقها فرأى أنها ردع وزجر لما دل عليه ما قبلها من اغترارهم بالله تعالى – أو لما دل عليه ما بعد (كلا) من تكذيبهم بيوم الجزاء والدين أو شريعة الإسلام)(37) وقوله (وإن عليكم لحافظين) عطف على جملة (تكذبون بالدين) تأكيداً لثبوت الجزاء على الأعمال ،وأكد الكلام بحرف (إن) ولام الابتداء لأنهم ينكرون ذلك إنكاراً قوياً ، ثم إن تقديم المسند (عليكم) يؤكد ذلك أيضاً ؛ لأنه قُدِّم على اسم (إن) وهو قوله (لحافظين) وهو قصر للمسند إليه المؤخر على المسند المقدم ، وأسلوب القصر يصعِّد التوكيد (38)وكثافة هذه المؤكدات واتصالها يؤكد معنى الزجر ، والردع عن الكفر ، والتكذيب بيوم الجزاء .

المبحث الخامس : كلَّا في سياق ردع المطففين والفجار

سورة المطففين من السور المكية التي عالجت صورا من شح النفس ، وحبها للمال الذي يحملها على ظلم الناس في الكيل ،والميزان ثم إنها قررت مسألة البعث تنبيهاً على مسألة الحساب ، والتي ينقسم على إثرها الناس إلى فجار ، وأبرار ، وتنقسم كتبهم إلى كتب في سجين ،وكتب في عليين ، وهي أمور إذا قرَّت في

النفس كانت وازعاً لها عن التردي في الظلم ، كما أن هذه السورة من أكثر السور التي تردد فيها حرف الردع (كلا)

قال تعالى : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ،الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ،ألا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ،يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ،وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ،كِتَابٌ مَرْقُومٌ ،وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ،الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ،وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ،كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)[39].

فقد وردت (كلا) في هذه السورة أربع مرات ثلاث منها في سياق التهديد ، والوعيد للمطففين ، وغيرهم من الذين كذبوا بيوم البعث ، وزعموا أن القرآن أساطير الأولين ، وهي قوله تعالى :(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) وقوله :(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)وقوله:(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ).

أما الرابعة فقد وردت في سياق الحديث عن الجهة المقابلة للفجار ، وهم الأبرار ومكانة أعمالهم (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ).

وقد بدأت السورة الكريمة في سياق يبرق ، ويرعد بكثير من مظاهر التهديد ، والوعيد رعاية لحال المخاطبين وتقريراً للمعاني ، والأهداف السامية للسورة الكريمة ، فقد بدأت السورة الكريمة بكلمة (ويل)، ومعناها: الحزن، والمشقة من العذاب[40] وقيل الويل شدة الشّر ، وقيل : العذاب الأليم ، وقيل : هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره [41] وافتتاح السورة باسم الويل مؤذن بأنها تشتمل على وعيد وهو من براعة الاستهلال التي تستولي على سمع المخاطب ، وبصره ، وتربطه بالمتكلم حتى يتقرر الخبر.

والاستفهام في قوله :(ألا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) وهو استفهام تعجيبي إنكاري ، والتعجب والإنكار راجع إلى إنكار ما سيق هذا لأجله ، وهو فعل التطفيف .

والتعريف باسم الإشارة في قوله (ألا يظن أولئك) لقصد تمييزهم ، والتشهير بهم في مقام الذم ولأن الإشارة إليهم بعد وصفهم بـ(المطففين) تؤذن بأن الوصف ملحوظ في الإشارة فيؤذن ذلك بتعليل الإنكار ، واللام في قوله (ليوم عظيم) لام التوقيت مثل: (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)[42] وفائدة لام التوقيت إدماج الرد على شبهتهم الحاملة لهم على إنكار البعث باعتقادهم أنه لو كان بعث لبعثت أموات القرون الغابرة فأومأ قوله (ليوم) أن للبعث وقتاً معيناً يقع عنده لا قبله ، ووصف يوم بـ(عظيم) باعتبار عظمة ما يقع فيه من الأهوال فهو مجاز عقلي[43].

وقوله :(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) ويبدو من السياق أن (كلا) جاءت بمعنى الردع يدلك على ذلك بداية السورة بكلمة الويل ، ثم ذكر التطفيف الذي يمثِّل صورة من صور الجور ، والتناقض في المعاملة ؛ لأنهم يستوفون لأنفسهم ، وينقصون غيرهم ،ولذلك صدر الاستفهام الإنكاري التعجيبي ، وفي هذا الإنكار ، والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم ،وقيام الناس فيه لله خاضعين ،ووصفه ذاته برب العالمين : بيان بليغ لعظم الذنب ،وتفاقم الإثم في التطفيف ،وفيما كان في مثل حاله من الحيف ،وترك القيام بالقسط ،والعمل على السوية ،والعدل في كل أخذ ، وإعطاء بل في كل قول ، وعمل .

ثم جاءت (كلا) لتقف بهم على حقيقة الأمر ، وسوء المرد ، وتنبههم إلى خطئهم بنبرة تتساوق مع حجم الخطأ ؛ قال أبو السعود : (كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف ، والغفلة عن البعث ، والحساب ، وقوله تعالى(إن كتاب الفجار لفي سجين)الخ تعليل للردع ، أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق[44] وهذا الرأي متسق مع سياق الآية مما سبقها وما تلاها من أساليب التهديد والوعيد وإن كان ابن فارس قد حملها على معنى التحقيق [45].

وحملها على التحقيق لما بعدها يغفل هذا الأثر النفسي الذي يشير إليه معنى الردع عن الذنب المذكور، أضف إلى ذلك أن جملة (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) تكاثفت فيها المؤكدات بداية بالتوكيد بإن واسمية الجملة واللام الداخلة على الخبر (الجار والمجرور) ، وهذه المؤكدات تحقق العبارة وتنفي عنها أي شك، وهي استئناف ابتدائي بمناسبة ذكر يوم القيامة ،وهو تعريض بالتهديد للمطففين بأن يكون عملهم موجباً كتبه في كتاب الفجار .

والتعريف في (الفجار) للجنس مراد به الاستغراق أي جميع المشركين فيعم المطففين وغير المطففين ،والاستفهام في قوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) للتهويل ، والتفخيم تهويل لأمره أي : هو بحيث لا يبلغه دراية أحد .[46] والسجين أسفل الأرض السابعة [47].

ثم إنَّ تكرار لفظ العذاب (ويل) وتعلقه بالمكذبين في قوله تعالى :(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يصعِّد نبرة التهديد والوعيد ويدق بها بعنف على قلوب المكذبين ، وهكذا نجد كلا في السياق تسبقها ، وتحدوها أساليب قوية في مواقف مفعمة بالتحدي ،والتصدي ،ومجابهة المتكبرين .

ويمضي السياق الكريم في تصاعد بهذا الوعيد حتى يصل مداه في أنفس هؤلاء الفجار عن طريق تقرير المعنى بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) وهو أسلوب يواجه به المنكر المعاند والجاهل[48] ويفيد قصر صفة التكذيب بيوم الدين على المعتدين الآثمين الزاعمين القرآن أساطير الأولين

،فهو قصر صفة على موصوف ، وهو قصر حقيقي ؛ لأن يوم الدين لا يكذب به إلا المشركون ،والوثنيون ، وأضرابهم ممن جمع الأوصاف الثلاثة ، وأعظمها التكذيب بالقرآن .

وأسلوب الشرط في قوله تعالى (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الذي يقرر تلازم الجزاء والشرط فكلما حدثت تلاوة حدث إعراض ،واقتراء بهذا القول.

ثم جاءت(كلا) في المرة الثانية في هذه السورة وفي نفس السياق مما يشير إلى طبيعة المعاني وأهميتها من جهة ومن أخرى إلى طبيعة المخاطبين المعاندين فقوله تعالى :(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (كلا ردع للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى(بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

بيان لما أدى بهم إلى التفوه بتلك العظيمة أي ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم ، وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذاك بينهم ، وبين معرفة الحق [49].

قال مجاهد : (ران على قلوبهم) قال : نبتت الخطايا على القلب حتى غمرته وهو الران الذي قال الله عز وجل بل ران على قلوبهم)[50] فقوله :(كلا) اعتراض بالردع ، وبيان له ؛ لأن(كلا) ردع لقولهم أساطير الأولين أي أن قولهم باطل ،وحرف (بل) للإبطال تأكيداً لمضمون (كلا) وبياناً وكشفاً لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا ، وأنه ما أعمى بصائرهم من الرين[51].

ثم جاءت(كلا) في هذا السياق للمرة الثالثة في قوله تعالى :(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) حيث بلغت نبرة السياق أعلاها صعوداً في الوعيد بحجبهم عن ربهم في موضع لا قوة فيه لغيره ، وهي ردع وزجر عن الكسب الرائن ، وهي ذنوب كثيرة اجتمعت على قلوبهم حتى غمرتها .

وجملة (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وما عطف عليها اشتملت على أنواع ثلاثة من الويل ، وهي الإهانة ،والعذاب ، والتقريع مع التأييس من الخلاص من العذاب ، فأما الإهانة فحجبهم عن ربهم ،وأما العذاب فهو ما في قوله (ثم إنهم لصالوا الجحيم) ،وقد عطفت الجملة بحرف (ثم) الدالة على التراخي الرتبي وهو ارتقاء في الوعيد لأنه وعيد بأنهم من أهل النار وذلك أشد من خزي الإهانة، وأما التقريع مع التأييس من تخفيف العذاب فهو مضمون جملة(ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون)، فعطف الجملة بحرف (ثم) اقتضى تراخي مضمون الجملة على مضمون التي قبلها أي بعد درجته في الغرض المسوق له الكلام ، واقتضى اسم الإشارة أنهم

صاروا إلى العذاب .

والإخبار عن العذاب بأنه (الذي كانوا به يكذبون) يفيد أنه العذاب الذي تكرر وعيدهم به وهم يكذبونه وذلك هو الخلود وهو درجة أشد في الوعيد وبذلك كان مضمون الجملة المعطوفة هي عليها(52).

وبعد أن بيَّن الله حال الفجار وحال كتابهم ومآلهم اقتضى ذلك بيان حال المؤمنين في قوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ)(53) فجاءت(كلا) للمرة الرابعة كفاصل بين نوعين وفارق بين نتيجتين ،نوع من الفجار ،وكتابه في سجين ،ونتيجته النار ونوع من الأبرار ،وكتابه في عليين ،ونتيجته الجنة ، وقد حملها ابن فارس على التحقيق (54) وقال أبو السعود (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع ،وزجر إثر زجر وقوله تعالى :(إن كتاب الأبرار لفي عليين)إستئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع(55).

ويتضح خلال السياق رجحان الرأي القائل بأنها ردع للكافرين على وجه التنديم لهم بالإشادة بمنزلة الأبرار الذي هم على النقيض منهم عملاً ، واعتقاداً فكانوا على النقيض منهم عاقبة وجزاءً .

وتركيب السياق في الحديث عن الفجار والحديث عن الأبرار يؤكد ذلك حيث إن الأسلوب العالي حافظ على نفس درجة التوكيد حيث بدأ بـ(كلا) ثم أكد الكلام بـ(إن) مع اسمية الجملة ولام التوكيد ثم أعقبه باستفهام التعظيم والتفخيم ارتقاء بمنزلة الأبرار إلى درجة لا يدركها إلا من كان على صفتهم .

الفصل الثاني

(كلَّا) في سياق خطاب الأنبياء

المبحث الأول : (كلا) في سياق خطاب الله لسيدنا موسى (علية وعلي نبيا الصلاة والسلام) وخطابه لقومه

أولاً : (كلا) في سياق خطاب الله لسيدنا موسى (علية وعلي نبيا الصلاة والسلام):

وردت كلا في خطاب الله تعالى لسيدنا موسى - عليه السلام - حين وجُّه إليه الأمر الإلهي الذي حمل في طياته تكليفه بدعوة فرعون ، وقومه ،وقد كان بينه ، وبينهم ما كان ، مما حكاه القرآن ، وبعودته إليهم يتحمَّل عبء جنايته السابقة ، مع عبء تبليغ الرسالة بعبادة الله لفرعون يدَّعي أنه الإله في أناس أطاعوه على طغيانه ، وانساقوا خلف رغبته لا يلوي أحدهم على معارضته .

ومن ثَمْ اشتد الأمر على سيدنا موسى عليه السلام ، وصار همُّه همَّين بين ملاقاتهم بذنبه ، وبين مواجهتهم بالرسالة فيقتلونه ، فيفوت الغرض ، وهو تبليغ رسالة الله ، وليس خوفه من القتل إلا خوفا على الرسالة المنوط بها. اقرأ السياق في قوله تعالى:(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ،قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُون ، وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون،قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ)[56]تجد في كلام سيدنا موسى الذي حكاه القرآن شدة حرصه على الرسالة وليس على نفسه تجد ذلك واضحا في قوله (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) وقوله: (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُون) ؛ ولذلك جاء قوله تعالى : (كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ)علاجاً ناجعاً يجتث الرهبة من صدره مرة واحدة .

وبالرغم من الشدة ، والزجر الذي تثيره (كلا)حيث ترد نجد أن ظلالها ،وشعاعها في هذا المقام يعطي إحساسا مختلفاً ،ويبث شعوراً خاصاً يبعث في النفس الطمأنينة ، والرضى ويربِّتُ على تلك النفس التي ملأتها الرهبة من ضياع الرسالة إذا تمكّن منها فرعون ، فأخذها بذنبها القديم ،أو لدعوتها الجديدة التي تهدم كبرياءه، وتظهر زيفه.

وما أُثِر لهذا الحرف في هذه الآية على العكس مما رأيناه في الآيات الأخرى التي تقدمت حين كان يبعث الرهبة ويزلزل الوجدان ،ويشعل الخاطر فكراً بمضمونه ،وإحساساً بخطره ،واهتماماً بما وراءه ، فالظاهر من السياق أن (كلا) للردع والرد ،ولكنها ردع عن القلق المسيطر وردّ للطمأنينة المفقودة .

والقول بأنها للردع ، والرد هو قول ابن فارس قال: وأما قوله في الشعراء (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ،قال كلا) فهو رد في حالة ، وردع في حالة

أخرى ،فأما مكان الردع فقوله (أخاف أن يقتلون) فقيل: (كلا) أي لا تخف ،فذا ردع ،وأما الرد فقوله : (أن يقتلون)فقيل له :لا يقتلونك فنفى أن يقتلوه واعلم أنهم لا يصلون إلى ذلك [57]، وهو قريب مما قرره الفخر الرازي في تفسير الآية نفسها[58].

وهو –أيضا- ما أشار إليه العلامة أبو السعود قال(وقوله تعالى:(قال كلا فاذهبا بآياتنا) حكاية لإجابته- تعالى- إلى الطلبتين:

الدفع المفهوم من الردع عن الخوف ، وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب ؛فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل : ارتدع يا موسى عما تظن ، فاذهب أنت ، ومن استدعيته ، وفي قوله (بآياتنا) رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى (إنا معكم مستمعون) تعليل للردع عن الخوف ، ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة [59].

فالظاهر من السياق أن (كلا) للردع ، والرد ، ولكنه بوحي ، وظلال مختلفين ؛ لأن الردع فيها أزال الخوف، وأعاد الطمأنينة ، وبشَّر بالنصر ،وهكذا نجد تصرف القرآن المعجز من مقام إلى مقام في دروب البيان يرينا أفانين التعبير التي تسجد العقول لآياتها.

وإذا مضينا مع السياق في قصة موسى (علية وعلي نبيا الصلاة والسلام) نجد صدى لـ(كلا) قريباً من صداها في هذا السياق السابق مع اختلاف في درجة التأثير ،لأنها عندما تصدر من الله- تعالى -، فإن دلالتها محققة ، ومعناها غير مشكوك فيه – لاسيما – إذا خوطب بها نبي ، لذلك رأينا لها ذلك التأثير المرغوب في النفس ، والذي تشتهي الأذن سماعه في هذا الموقف .

أما عند صدورها من بشر لبشر في مثل المقام الآتي ؛ فإنها تبعث طمأنينةً يشوبها حذر ، وترقب حتى تتحقق كما سنرى في خطاب سيدنا موسى لقومه .

<u>ثانيا : (كلا) في سياق خطاب سيدنا موسى لقومه:</u>

وردت (كلا) في خطاب سيدنا موسى (علية وعلي نبيا الصلاة والسلام) لقومه حين أراد أن يستل من نفوسهم الخوف الذي سيطر على قلوبهم وارتجفت منه أبدانهم ، وهم يرون فرعون بخيله وخيلائه يوشك أن يبلغهم ، وورود أداة غير (كلا) لا تفي بالغرض لاقتلاع جذور الخوف الذي تمكَّن منهم ، فهم يرون العدو في كامل استعداده لهم في حين أنهم لا يملكون قوة لدفعه ، ولا سبباً للنجاة ، وقد شغلتهم سطوة الخوف ،وهول الموقف ،وما هم فيه من الكرب عن معية الله لهم ، ونصرته لأوليائه ؛ فجاءت (كلا) في قمة الوفاء بالمعنى ؛ فقوة هذا الحرف تساوقت مع حجم الخوف وأربَت عليه ، ومثَّلت لحظة إزالة الغشاوة التي كساهم إياها خوفهم من فرعون ليتبصروا الحقيقة بما قرَّره بعدها،كما مثَّلت الأداة لذلك ، وكانت الوسيلة فيما هنالك.

تأمل روعة السياق القرآني وهو يصوِّر هواجس نفوسهم ، ويرصد المعاني التي تدور في وجدانهم ، وقد اضطربت قلوبهم ، وارتجفت أبدانهم ، وسيطر الخوف على عقولهم فعجزت عن التفكير ، فتيقنوا الهلاك في قوله تعالى :(فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)(60).

والآية تبدأ بالتوقيت للحدث عن طريق (لما) التي وقعت بمعنى حين لتبدأ المشهد بتقارب الجمعين إلى درجة أشعلت نفوس أتباع موسى هلعاً فقوله : (تراءى الجمعان) هو تفاعل من الرؤية ،أي رأى كل واحد منهما الآخر مما يدل على شدة اقتراب الخطر ، وقد جاء قول قوم موسى (إنا لمدركون) مؤكداً بـ(إن) مع اسمية الجملة ، ولام التوكيد إحساساً منهم بشدة اقتراب الخطر مع ما تعكسه من شدة الهلع ، فكان الرد متساوقاً مع الأسلوب بتصديره بـ(كلا) ردعاً وزجراً ؛ لأن مثل هذه الحالة من الهلع لا يؤثر فيمن أصيب بها إلا لفظ له قوة هذا الحرف في الردع ، والزجر حتى تسكن النفس ، وتستطيع أن تفكر في أبعاد المسألة ،وأنها لا تخضع لقوانين البشر ، وأسبابهم في تحقيق النصر ؛ لأن الله مع نبيه بالنصر ، والتمكين له ، وللمؤمنين ، وعلى ذلك لن يصل إليهم فرعون ، وجنده ؛ ولذلك تلاه بـ(إن)توكيداً للمعية الإلهية التي تستلزم الهداية ، وتستصحب النصر ولذلك قدم الظرف المتصل بالضمير (معي) وهذا التقديم يفيد الاهتمام بالمعية لا على سبيل الحصر بمعنى أنه يخص نفسه بالمعية المستلزمة للهداية ، والنصر دونهم ، والواقع أن الله نجاهم جميعا ، وقيل: إن التقديم يفيد الحصر ، ولكن بالنسبة إلى فرعون وجمعه .

و(كلا)في هذا الموضع -كما ذكر ابن هشام (61)- تتعين للردع لأنها لا تصلح أن تكون بمعنى (حقا) ؛ لأنها لو كانت كذلك لما كسرت همزة (إن) بعدها ،ولو كانت بمعنى (نعم) لكانت تصديقاً بإدراك فرعون لهم ، والسياق يأبى هذا لأنه (لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى ،وقرب منهم ، ورأت بنو إسرائيل العدو القوي ، والبحر أمامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء : (إنا لمدركون) فرد عليهم قولهم ، وزجرهم ، وذكَّرهم وعد الله سبحانه له بالهداية ، والظفر (كلا) أي لن يدركوكم (إن معي ربي) أي بالنصر على العدو (سيهدين) أي سيدلني على طريق النجاة (62)

<u>المبحث الثاني : (كلا) في سياق خطاب الله لرسوله (صلي الله علية وسلم)</u>

<u>أولا : في سياق خطاب الرسول (صلي الله علية وسلم) وبيان حال الكافرين :</u>

وهو الموضع الثاني في سورة المعارج الذي تكررت فيه (كلا)حيث وردت في الموضع الأول في سياق الحديث عن النار ، وأهوال القيامة في معمعة أحداث الساعة حيث صدرت في مقام توبيخ ، وتحسير لمجرم تقطع عنه كل أمل في النجاة وهو مقام من أشد المقامات التي وردت فيها في قوله تعالى :(كَلَّا إِنَّهَا

لَظَى)[63] وسيأتي الحديث عنه في موضعه – إن شاء الله – .

والموضع الثاني في سياق مختلف بعد أن هدأت النبرة ، وانتقل الحوار إلى الحديث عن صفات المؤمنين الصالحين وعدَّدها اهتماماً بها ، وإشادةً بأصحابها ، ثم هو بذلك يجعل منها نموذجاً يرفعه أمام أجيال الأمة في كل زمان ومكان قدوة لهم في طريق الخير ثم توجَّه بالخطاب إلى النبي (صلي الله علية وسلم) ، ونظم الكلام مع النبي (صلي الله علية وسلم) فيه اختلاف من بعض الوجوه تتضح خلال مراجعة السياق في قوله تعالى :(فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ،عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ،أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ،كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ،فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ)[64].

وبتأمل هذا السياق يتضح كثير من الخصائص التي يمتاز بها قبل(كلا) فقد سبقت كلا بأسلوب استفهام تعجيبي من حال إسراعهم إلى الرسول (صلي الله علية وسلم) واستهزائهم به ، والتفافهم في حلق للحديث في أمره ، والكيد له دون طلب الهداية ، والإيمان ، وهو قوله تعالى (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ)، تلا الاستفهام التعجيبي باستفهام إنكاري لزعمهم بأن يدخلوا جنة نعيم (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ) أي لا يكون ذلك ، وأنتم ما زلتم على الكفر قال العلامة أبو السعود :(كان المشركون يحلقون حول رسول الله (صلي الله علية وسلم) حلقا حلقا ،وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه (صلي الله علية وسلم) ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا إيمان [65].

فجاءت (كلا) في قوله تعالى :(كلا إنا خلقناهم مما يعلمون) ردعاً لهم عمَّا هم فيه من الاستهزاء بالرسول (صلي الله علية وسلم) والكيد له ، وللمؤمنين ثم طمعهم في دخول الجنة مع هذا ، فزجرهم بهذا الحرف الذي يقف بهم ، ويستوقف غيرهم على أصل جرمهم حتى يراجعوا أنفسهم فيما هم عليه فيرتدعوا ،وتلك غاية من غايات استخدام هذا الحرف ،وغاية سلوك هذا المسلك في خطاب مثل هذه العقول المستترة خلف غلاظ القلوب .

وقد جاءت جملة (إنا خلقناهم) مؤكدة بحرف التأكيد لتنزيلهم فيما صدر منهم من الشبهة الباطلة منزلة من لا يعلمون أنهم خلقوا من نطفة ، وكانوا معدومين ، وقد تبع هذا التوكيد لهذه الجملة بالتوكيد بالقسم في قوله (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) تصريحاً بالمعنى بعد التعريض ،وبتأمل السياق يتضح أن معنى (كلا) الردع والزجر ، وهوما يشير إليه المقام ، ويؤكده السياق ، ويتناسب مع النفس الجامحة عن الحق الطامحة إلى الباطل .

ثانيا : في سياق ترغيب الرسول (صلي الله علية وسلم) في الأناة وترك العجلة :

وردت (كلا) في سياق ترغيب الرسول (صلي الله علية وسلم) في الأناة ، وترك العجلة في سياق يتسم بعمق المعاني ، وكثرة الأغراض فقد يتوجه السياق بالخطاب إلى الإنسان الذي يمثّل الجنس كله ؛ فيأخذ شكل النداء العام الذي يعمم بدوره التكليف ،وقد يلتفت إلى الرسول (صلي الله علية وسلم) لينبه إلى أمر ، ثم يلتفت ، فيوجِّه الخطاب للعموم مرة أخرى ، وهذا الصنيع في نسق القرآن الكريم لا يترك فرصة لمخاطب أن يغفل عن الحوار الذي يتميز بالحركة ، وإثارة الانتباه ، وإبقاء الجميع في دائرة الحوار ، وبؤرة الاهتمام حتى يبلغ مداه في تقرير المعنى ،وهو وسيلة من وسائل سيطرة الأسلوب القرآني ، قال تعالى :(بَل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ،لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ، كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ،وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ،إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ،وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ،تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ، كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ،وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ،وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ،وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ،إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)[66] .وقد تصدرت (بل) هذه الآيات لتعطي معنى الإضراب الانتقالي :(بل الإنسان) للترقي من مضمون (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) إلى الإخبار بأن الكافر يعلم ما فعله لأنه يشهد عليه لسانه ، ويده ، ورجله بما كان يعمل إذ هو قرأ كتاب أعماله فقال : (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه ،وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ)[67] والنهي في قوله تعالى : (لا تحرك به لسانك ...) عن عادة العجلة .ثم أسلوب التوكيد بـ(إن) في قوله :(... إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ...)ثم أسلوب الحصر في قوله (علينا جمعه)أي علينا وليس عليك فلا تتعجل بالقراءة رغبةً وحرصاً علي جمعه ،ثم أسلوب الشرط الذي يرتب الجزاء على الشرط في قول (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) مع تتابع فاء العطف دون غيرها من حروف العطف لتتابع الأحكام المترتب بعضها على بعض ، مع الإشارة إلى سرعة الاستجابة إذا حان حينها ، واستعمال نون العظمة الذي يفيد توكيد الأمر في قوله (قرأناه) ثم عطف جملة (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)بنفس عناصر القوة في الجملة السابقة حيث أكّدت بإن مع اسمية الجملة ، وأسلوب القصر بتقديم خبر إن (علينا) على اسمها والتعبير بنون العظمة التي تؤكد الأمر ،وهذا التصعيد في السياق والتدرج في أدوات التوكيد يوحي بخطر الأمر وأهميته التي علت بنبرته حتى وقَّرت أعلى درجات اليقظة ،والتهيؤ للأمر .

ومع استمرار وتيرة السياق في الارتفاع صعوداً في درجات التحذير أصبح السياق مهيأً لـ(كلا) لتقف بالمخاطبين لحظة بين ما سبق تقريره من معان ، وما يليها عند معنى الزجر والردع الذي أثارته ، وهذه إحدى فوائد هذا الحرف بالإضافة إلى مدلوله ؛ لأنه يثبت بذلك المعنى الذي ورد الردع من أجله ، ثم إنه يلفت الانتباه إلى ما يأتي بعده لأنه من المعلوم أن من أبطل كلاماً وردَّه لابد أن يقرر غيره مما يشبه أن يكون مناقضاً له ، وهو ما يجعل المخاطب يترقب ما بعده ،فإذا ما ورد المعنى

تلقته النفس بكامل الانتباه واليقظة فقوله (كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة) ردع وإبطال لما سبق في قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) إلى قوله (ولو ألقى معاذيره) فأعيد (كلا) تأكيداً لنظيره ووصلاً للكلام بإعادة آخر كلمة منه والمعنى : أن مزاعمهم باطلة ثم إنه يلفت إلى قوله :(بل تحبون العاجلة) لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وهو الداعي إلى المخالفات التي نبهت عليها السورة من أولها .

المبحث الثالث: أولاً: (كلا) في سياق عتاب الرسول (صلي الله علية وسلم)

وردت (كلا) في سياق عتاب الرسول (صلي الله علية وسلم) في قوله تعالى: (أَمَّا مَن اسْتَغْنَى، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ، وهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ،كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ،فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ،مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ،بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ ، قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فقدَّرَه ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَه،كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)[68].

وردت (كلا) في هذه السورة في موضعين في سياقين مختلفين من حيث المقصود بالخطاب في الموضعين:

أما الثاني فيأتي الحديث عنه ، وأما الأول: فقوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ)

وقد وردت فيه (كلا) في سياق عتاب الحبيب للحبيب ، فاختلفت لذلك ظلالها ، وشعاعها ، ورأينا لها موقعاً مختلفاً في الوجدان رغم أن السياق اتخذ نسقاً متصاعداً في الحوار ؛ لأنه نبي نيط بالرسالة الخاتمة ،وما يقبل من غيره لا يقبل منه ، ومن هنا كانت الشدة ،والحدة في نسق الخطاب فقد فصَّل له ما أحدث ،وعاتبه عليه فقد بدأ قص الحدث بـ(أما) التفصيلية داخلة على الموصول (الذي) وصلته قوله (استغنى) في قوله (وأما من استغنى) والاستغناء : عد الشخص نفسه غنياً في أمر يدل عليه السياق قول أو فعل أو علم ، فالسين والتاء للحسبان أي حسب نفسه غنياً . وأكثر ما يستعمل الاستغناء في التكبر والاعتزاز بالقوة .

ومجيء ضمير المخاطب مظهراً قبل المسند الفعلي دون استتاره في الفعل في قوله: (فأنت له تصدى) يجوز أن يكون للتقوي كأنه قيل : تتصدى له تصدياً فمناط العتاب هو التصدي القوي، ويجوز أن يكون مفيداً للاختصاص أي فأنت لا غيرك تتصدى له أي ذلك التصدي لا يليق بك وهذا قريب من قولهم : مثلك لا يبخل أي لو تصدى له غيرك لكان هوناً فأما أنت فلا يتصدى مثلك لمثله فمناط العتاب هو أنه وقع من النبي (صلي الله علية وسلم) في جليل قدره ، وقوله (وما عليك ألا يزكى) أي لست مؤاخذاً بعدم اهتدائه حتى يزيد من الحرص على ترغيبه في الإيمان

ما لم يكلفك الله به . وهذا رفق من الله برسوله (صلي الله علية وسلم) (وأما من جاءك يسعى ،وهو يخشى ،فأنت عنه تلهى) عطف على جملة (أما من استغنى) اقتضى ذكره قصد المقابلة مع المعطوف عليها مقابلة الضدين إتماماً للتقسيم . والمراد : هو ابن أم مكتوم فحصل بمضمون هذه الجملة تأكيد لمضمون (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)[69].

وتتجلى بلاغة (كلا) في موقعها من السياق ،في أنها تعلي من قدر القرآن ،وقدر الرسول-(صلي الله علية وسلم) - ،وتثمن غاليا قدر دعوته بردعه عن التصدي لمن استغنى عن الدعوة والإيمان ، وأن عزة الرسالة والرسول (صلي الله علية وسلم) تأبى أن يتعرض بها لمن رغب عنها ، وأن يترك من جاء مسلماً مستجيباً لدعوة الله ورسوله .

وجملة (إنها تذكرة)قيل:(أن الضمير أُنث أولا في قوله (إنها تذكرة) وذُكّر في قوله (فمن شاء ذكره) لأنهما للتذكرة وأن التذكير في ثانيهما هو من باب الحمل على المعنى ؛ لأن التذكرة في معنى الوعظ والتذكير وقيل : إن الأول أُنث لأن المراد به آيات القرآن ،وقيل إنهما للقرآن أو العتاب المذكور وإن تأنيث أولهما راجع إلى تأنيث خبره [70]

وهذه الجملة (إنها تذكرة) بكل ما فيها من عناصر التوكيد استئناف بياني لأن ما تقدم من العتاب وما أثارته(كلا) بمعناها ، وظلالها من معنى الردع يثير في خاطر الرسول (صلي الله علية وسلم) مخافة أن يكون قصر في شيء من واجب الدعوة ، والتبليغ فربَّتَ بهذه الجملة على نبيه (صلي الله علية وسلم) أي أن هذه الموعظة تنبيه لما غفلت عنه ، وليست ملاماً ،وإنما عتاب حبيب .

ونلاحظ أن السياق الذي وردت فيه (كلا) في هذا المقام مع أنه يتسم بالشدة ، والحدة إلا أنه حمل كثيراً من مظاهر الرفق بالنبي (صلي الله علية وسلم) بداية ببيان سبب المؤاخذة قبل ورود حرف الردع (كلا) ثم تفصيله ببيان انشغاله بمن أعرض عن الدعوة ،وترك من جاء طائعاً مسلماً لعلو مكانة الأول ، وضعف مكانة الثاني –وإن كان الرسول (صلي الله علية وسلم) يرى أن إسلام من تصدى له يعني إسلام أتباعه بعكس الثاني الذي ليس له أتباع،وهذا من حرصه (صلي الله علية وسلم) على نشر الدعوة – ثم إنَّ صدور هذا الحرف في هذا الموضع من السياق إعلاء من قيمة الرسول (صلي الله علية وسلم) ودعوته ،وأنها دعوة عزيزة ينالها من رغب فيها لا عنها .

أيضا من مظاهر الرفق بالرسول (صلي الله علية وسلم) في هذا السياق قوله (وما عليك ألا يزكى) أي لست مؤاخذاً بعدم اهتدائه فهو يهدئ من روعه بين الفينة والفينة عادة الحبيب في عتاب الحبيب ، ثم إنه أتبع (كلا) بجملة (إنها تذكرة

) تعليلا للردع حتى يعلم الجهة التي عوتب من أجلها ،وأنه ليس على تقصير منه – كما أشرنا سابقا- .

ثانيا: في سياق خطاب الرسول (صلي الله علية وسلم) والمقصود غيره :

وردت كلا في سورة العلق في قوله تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ،خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ،الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى ،أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[71]

ومن الملاحظ في هذا الموضع أن (كلا) وردت في السياق دون أن يسبقها ما يحتمل الإبطال ، والردع ، لذلك وجدنا المفسرين والنحويين يقفون عند هذا الموضع ، وقد اختلفت آراؤهم في تحديد دلالة (كلا) ،وموضع الرد أو سبب الردع والزجر إذا لم يوجد في السياق ما يستحق الردع ، وقد بدأت السورة الكريمة بالأمر بالقراءة في قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ثم أكَّد هذا الأمر بأمر ثان في قوله (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) إشارة إلى الاهتمام بتعليم الكتابة وبأن الله يريد أن يُكتب للنبي (صلي الله علية وسلم) ما ينزل عليه من القرآن فمن أجل ذلك اتخذ النبي (صلي الله علية وسلم) كتَّاباً للوحي من مبدأ بعثته ،وفي الاقتصار على أمر الرسول (صلي الله علية وسلم) بالقراءة ثم إخباره بأن الله علم الإنسان بالقلم إيماء إلى استمرار صفة الأمية للنبي (صلي الله علية وسلم) لأنها وصف مكمل لإعجاز القرآن ثم جاء قوله (كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى ،أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[72] وحق (كلا) أن تقع بعد كلام لإبطاله ، والزجر عن مضمونه فوقوعها هنا في أول الكلام يقتضي أن معنى الكلام الآتي بعدها حقيق بالإبطال وبردع قائله فابتدئ الكلام بحرف الردع، وقال أبو حيان :(كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه)[73]وقيل إنها للتحقيق لما بعدها أي حقا إن الإنسان ليطغى [74] وقد اتخذ السحستاني من هذا الموضع دليلا على أنَّ كَلاَّ تأتي بمعنى(ألا) ،قال أبو بكر بن الأنباري: ويجوز أن يكون بمعنى حقاً إن الإنسان ليطغى ،ويجوز أن يكون ردًّا كأنه قال لا ليس الأمر كما تظنون[75].

وقد مثَّلت (كلا)بداية ارتفاع نبرة السياق الذي بدا هادئاً في أول السورة ثم دوىَّ مرة واحد في نقلة للنسق انتقلت معها مشاعر المخاطبين نقلة واسعة من معاني الفضل والإحسان ، وتعداد النعم بالخلق والتكريم والتعليم إلى الحديث عن طغيان الإنسان عندما يشعر بالقوة ،والمنعة ، ثم التهديد ، والوعيد بالعودة إلى الله ، وملاقاة أشد العذاب وهو ما يفيده قوله تعالى :(إن إلى ربك الرجعى) وهذا يؤيد أنها تحقيق لما بعدها ؛ لأنها وردت على سبيل التهديد للطاغي والتحذير له من عاقبة الطغيان ، والالتفات من الغيبة للخطاب للتشديد في التهديد ،وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أي إن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك ،والاستفهام في قوله تعالى (أرأيت

الذي ينهى عبدا إذا صلى) تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وإيذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب .

ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام ، واستعظام النهي ، وتأكيد التعجب منه ، والرؤية ههنا بصرية ، وأما ما في قوله تعالى (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى)وما في قوله تعالى (أرأيت إن كذب وتولى)فقلبية معناه أخبرني فإن الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرئي أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها ، والخطاب لكل من صلح للخطاب (76)

ثم جاءت (كلا) مرتين في سياق متصل ، وفي تصاعد مستمر في الأساليب التى تسري في نفوس المخاطبين سرياناً قوياً حتى تصل إلى أغوار نفوس الكافرين ؛ فتزلزل قلوبهم التي تحمل الصلف والعناد ، وترفض دعوة الحق لذلك يبلغ السياق مداه صعوداً في التهديد ، والوعيد بأخذه أخذ عزيز مقتدر قال تعالى: (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ،نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ،سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة ،كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)(77) وقد تصدرت (كلا) السياق أيضاً ، ولكن وقعها أشد ، وحدّها أحد ، ومعنى الزجر ، والردع واضح جلي ، وقد تقدَّمها ما يستلزم الردع والزجر كما تلاها تهديد يخلع القلوب مهما بلغت من الجمود .

تأمل بناء العبارة ما بين مفرداتها (لنسفعا – الناصية- ناصية – كاذبة- خاطئة- الزبانية) ثم وسائل التوكيد بداية بـ(كلا) ، واللام الموطئة للقسم (لئن) ،ثم التوكيد باللام الداخلة على الفعل المضارع ، ثم نون التوكيد الخفيفة في قوله (لنسفعاً) وهي جواب القسم ،ثم التعبير بالسفع وهو : القبض الشديد بجذب، ثم الباء في قوله (بالناصية) ثم تكرار لفظ الناصية التي هي رمز العزة في وجه المتكبر ، وهي مقدم شعر الرأس ،والأخذ من الناصية أخذ من لا يترك له تمكن من الانفلات ، فهو كناية عن أخذه إلى العذاب ،وفيه إذلال لأنهم كانوا لا يقبضون على شعر رأس أحد إلا لضربه أو لجره ،ووصف الناصية بالخاطئة والكاذبة مجاز عقلي ،والمراد : كاذب صاحبها خاطئ صاحبها أي آثم ، وبلاغة هذا المجاز تتمثّل في أنه يخيَّل إليك بأن الكذب ،والخطأ باديان من ناصيته فكانت الناصية جديرة بالسفع ، ولام الأمر في (فليدع ناديه) للتعجيز لأن أبا جهل هدَّد النبي (صلي الله علية وسلم) بكثرة أنصاره وهم أهل ناديه فردَّ الله عليه بأن أمره بدعوة ناديه ، فإنه إن دعاهم ليسطوا على النبي (صلي الله علية وسلم) دعا الله ملائكة فأهلكوه .

ثم جاءت للمرة الثالثة في هذه السورة التي جاءت أساليبها في قمة التناسب مع مقتضى حال المخاطب ‘وإذا كان من المقرر عند العلماء أن هناك تشابهاً بين القائل ، وقوله ، وأن الأسلوب قطعة من صاحبه ، فإن سياق (كلا) الذي ترد فيه يشبه من وُجِّه إليه فإذا نظرنا إلى موقع (كلا) وما سبقها ، وما تلاها في الموضع الثاني في هذه السورة ألفينا ظلالها تمطر رعباً ، وشعاعها يشتعل ناراً وهو ما يشبه

شخص أبي جهل ، وما بين قلبه ، وعقله من شر محض يتردد ؛ فلابد من أساليب عنيفة تستعر في قلبه بعد أن تصك سمعه .

فإذا نظرنا إلى (كلا) في الموضع الثالث من هذه السورة ،بعد أن تحوَّل الخطاب إلى النبي (صلي الله علية وسلم) نجد نسق الكلام قد اختلف وتركيبه قد أشبه من توجه إليه الخطاب فقوله تعالى :(كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) نجد أن (كلا) وإن كانت ردعاً وزجراً عما سبقها ، وإبطالاً له إلا أن ما تلاها من السياق من المعاني الحنونة يبدل ظلال (كلا) وشعاعها ، إلى معاني التودد ،والرحمة ،والتقريب ، فالأمر بالسجود تقريب للعبد ؛ لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، أكده بالأمر الصريح بالاقتراب ، وهوفعل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة ، وكلاهما من المعاني المحببة للمؤمن ولا تصدر مثل هذه الأوامر إلا من محب ، ولا يقرَّبُ إلا محبوب .

الفصل الثالث

(كلاَّ) في سياق الحديث عن أحوال الكافرين عند الموت والساعة وأهوالها.

المبحث الأول :

أولا : في سياق الحديث عن حال الكافر عند الموت:

الموت حقيقة لا يجحدها مؤمن ولا كافر، والحديث عنه تنقبض له القلوب ، وتنفر منه النفوس التي ترغب في الركون إلى الحياة ولذَّاتها ، وسياق الحديث الذي يتناول معانيه يثير في النفس ظلالا خاصة تأخذ النفوس من جهة الرهبة ، ويعتمد هذا السياق أسلوب المفاجأة باللحظة التي يصل فيها الموت للإنسان ، وهي طبيعة مجيئه ؛ لأنه غير معلوم ،ثم يأخذ نموذجا غير محدد ليجعله محور الترهيب من التعرض لهذا الموقف أو إتيان فعله المؤدي إلى النتيجة نفسها في قوله تعالى :(حتَّى إذا جَاءَ أحَدَهُم الموْتُ قالَ ربِّ ارْجِعون ،لَعَلِّي أعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(78) .

وقد بدأت الآيات في السياق الرهيب بـ(حتى) لبيان الغاية ثم (إذا) الشرطية التي تربط تبصره بالحقيقة وإدراكه للغفلة التي يحيا فيها بمجيء الموت ، وفي هذا إشارة إلى إطباق الغفلة والانغماس في الشهوات الداعية للكفر والجحود والإهمال ، وهذا حال الكافر عند الموت حتى يبلغ النهاية التي تتكشف عندها الحجب ، وتزول الأستار فيرى سفور خيبته ، وتبرج عاقبته بأنواع العذاب بداية بملائكة تخلع رؤيتهم صوامد القلوب ؛ لأنهم ملائكة عذاب اختصوا بقبض أرواح العتاة والجبابرة.

فلما رأى ما رأى توجه بالخطاب إلى ربه ؛ لأنه صار إلى اليقين ، وعلم أنه لا منجى منه إلا إليه ؛فقال : (رب ارجعون) واختياره للفظ (رب) دون (الله)لأن الكلمة تحمل معنى الرعاية ، والتربية ، والحنان أما لفظ الجلالة (الله) فإنه يحمل مع تلك المعاني صفات القهر، والشدة كالجبار ،والقهار، والمنتقم ،وغيرها، والصفات الحسنى تعود كلها إليه ،ثم إنه التفت عند ذكر المطلوب في قوله :(ارجعون) من خطاب المفرد إلى الجمع تعظيماً .. أو لعظم الهول ولشدة إحساسه بالهلاك المطبق حوله أراد أن يحشد لرغبته في النجاة كل الطاقات الممكنة وكل من يتأتى منه إجابة فنادى بضمير الجمع .

ولعل السر في هذا التعظيم في الخطاب هو رغبة هذا الكافر في الخلاص من هول ما رأى مع يقينه أن لا ينجيه منه غير العظيم مع ما فيه من التعطف والتذلل وإظهار الضعف والمسكنة سبيلا للنجاة ، ثم يلتمس علة لطلبه الرجوع بقوله : (لعلي أعمل صالحا فيما تركت...) وما يدري أنه بلغ نقطة لا رجعة عندها ، وهنا يتهيأ السياق لـ(كلا) وتتعين له ؛ لأنه لابد أن يقف من طلبه على غاية ويصل

من مراده إلى نهاية يدرك بها حقيقة مصيره المحتوم فجاء قوله عز وجل: (كلا...) ردعاً وزجراً واستبعاداً لطلبه وإنكاراً لزعمه أنه إذا رجع عمل صالحاً وهو كاذب قال تعالى :(...وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)[79] ولأن العودة إلى الدنيا من الأمور المستحيلة. قال الزمخشري :(" كلا " ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد . وقوله (إنها كلمة ...) وهي قوله : " لعلى أعمل صالحاً فيما تركت " . " هو قائلها " لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم ،ومن ورائهم برزخ " أي : أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث ،وهو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة .[80] قال ابن هشام: (وقد تتعين (كلا) للردع أو الاستفتاح نحو (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة) ؛ لأنها لو كانت بمعنى (حقا) لما كسرت همزة (إن) ولو كانت بمعنى (نعم) لكانت للوعد بالرجوع لأنها بعد الطلب [81] أما ابن فارس فرأى أنها للتحقيق والرد في ثلاثة مواضع من السياق :الأول : رد لقوله (رب ارجعون) فقيل له : كلا أي : لا ترد ، الثاني :رد لقوله (أعمل صالحا) فقيل له : كلا :أي لست ممن يعمل صالحا ،الثالث : تحقيق لقوله (إنها كلمة هو قائلها) وهذا القول مردود بقول ابن هشام :أنها لو كانت بمعنى (حقا) لما كسرت همزة (إن) بعدها ،والراجح خلال تحليل السياق وما يقتضيه المقام ،أنها للردع والإنكار والاستبعاد كما قرر الزمخشري وأبو حيان [82].

ثانيا : في وصف حال الإنسان عند الموت :

ومن السياقات التي وردت فيها (كلا) في الحديث عن حال الإنسان عند الموت في سورة القيامة حيث تكررت (كلا) في السورة أكثر من مرة منها قوله تعالى : (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ،وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ،وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) [83]

رأينا فيما سبق في موضع (كلا) السابق في الحديث عن الموت في قوله تعالى :(حتَّى إذا جَاءَ أَحَدَهُم الموْتُ قالَ ربِّ ارْجِعون ،لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا..)أنها جاءت في سياق الحديث عن حالة الإنسان إجمالا عند مجيء الموت أما في هذا الموضع ؛ فإنها تحكي خصوصية المعاناة للألم من داخل الجسم عند مفارقة الروح للبدن ، وهي معان عميقة تسلك طريقها نحو القلب، وقد مهدت الرهبة منها ، والرغبة في متابعة السياق لمعرفة ما يفضي إليه ثم إن السياق متصل بالحديث عن أصناف الناس بين النعيم بالنظر إلى وجه الله والشقاء بالحرمان من هذه النعمة مع ما يتبعها من دخول النار ثم جاءت (كلا) تتصدر لحظة الفراق (إذا بلغت التراقي) وقد أوقفت الحوار بين أصناف الناس ، وبين الحديث عن خروج الروح لحظة يتأمل كل سامع حاله في هذه المواقف ، وقد دنت لحظة الفراق بعد أن قرعت سمعه (كلا) بلفظها وهزت وجدانه بمدلولها على الردع

والزجر عن حب العاجلة في حال أن الموت ينتظره ثم يساق إلى ربه .

قال أبو حيان :(كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة وتذكير لهم بما يؤولون عليه من الموت الذي تنقطع الأهلية عنده وينتقل منها إلى الآخرة (84) قال أبو السعود (كلا ردع عن إيثار العاجلة على الآخرة أي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم ، وبين العاجلة من العلاقة (85).

المبحث الثاني: في سياق الحديث عن النار وأهوالها

أولا : في سياق الحديث عن هول النار :

وردت كلا في هذا السياق الرهيب الذي يصوِّر مشهداً من مشاهد الهول في الآخرة حيث إنها سبقت بوصف لهول عصيب تصير به السماء كالمعدن المذاب ، والجبال كالصوف المتفرق ، ويذهل الناس ، فلا يلوي حميم على حميم يراه قال تعالى :(يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه ،وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ،كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى)(86)

والمتأمل لسياق (كلا)يلحظ أنها سبقت بوصف لتغيرات كونية تزلزل أعماق النفس الجاحدة ، وترغمها على التوقف في فهمها ، واستيعابها ، وأنها سبقت بوصف لهول نفسي يشغل كل إنسان بنفسه خاصة لا يلوي فيه على أحد ثم إن الناحية الصوتية ، والموسيقية الداخلية للمفردات ، والجمل تتساوق في الجو النفسي مع المعنى المخيف الذي تصوره ،وقد تبع (كلا) في السياق حرف التوكيد (إن) والضمير العائد على جهنم ليربط الكلام قبل (كلا) بما بعدها من ناحية ، ومن أخرى يربط المعنى الذي يصعِّد الإحساس بهول العذاب ، وشدته بما قبله إلى درجة تكون عندها القلوب والعقول مهيأة لإصلاح ما لحقها من حبها للمال ، وجمعه ، وكنزه ، ومن الصفات الخبيثة التي تحيط بها ، ولذلك أتبع هذا الضمير بأوصاف أخرى لهذه النار منها أنها (تدعوا من أدبر وتولى). وجملة (إنها لظى) استئناف بياني ناشئ عما أفاده حرف(كلا) من الإبطال ، وضمير(إنها) عائد إلى ما يشاهده المجرم قبالته من مرأى جهنم فأخبر بأن ذلك لظى . ولما كان(لظى) مقترنا بألف التأنيث أنث الضمير باعتبار تأنيث الخبر واتبع اسمها بأوصاف ، والمقصود التعريض بأنها أعدت له أي أنها تحرقك ، وتنزع شواك ، وقد صرح بما وقع التعريض به في قوله (تدعو من أدبر وتولى فجمع فأوعى) أي تدعوك يا من أدبر عن دعوة التوحيد ، وتولى عنها ولم يعبأ إلا بجمع المال؛ فحرف (إن) لتوكيد المعنى التعريضي من الخبر إلى الإخبار بأن ما يشاهده لظى إذ ليس ذلك بمحل التردد ، ويجوز أن يكون ضمير (إنها) ضمير القصة ، وهو ضمير الشأن أي أن قصتك ، وشأنك لظى فتكون (لظى) مبتدأ (87) ثم إن التوكيد في بعض السور المكية ، ومنها هذه السورة يدل على أن الدعوة كانت تواجه في مكة حالات خاصة

يجتمع فيها البخل ، والحرص ، والجشع إلى الكفر ، والتكذيب ، والضلالة . مما اقتضى تكرار الإشارة إلى هذا الأمر ، والتخويف من عاقبته ، بوصفه من موجبات العذاب بعد الكفر ، والشرك بالله ، ووجود (كلا) في السياق خادم لهذا الغرض منبه إلى هذا المعنى في التوقيت المناسب للجو النفسي ، والمكان المناسب وسط الصورة المرسومة للهول المطبق على كل من جمع فأوعى ، وأدبر ، وتولى تقطع عنه كل أمل للنجاة ثمْ .قال ابن فارس :وأما قوله في سورة المعارج (وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ،كَلَّا إِنَّهَا لَظَى)فرد لقوله (ثم ينجيه) أو رد لقوله (لو يفتدي)[88]. فنفي الافتداء نفي لكل وسيلة من شأنها أن تكون سبيلاً لإنقاذه ، ونفي النجاة نفي للعاقبة التي يتمناها ، وهو أقرب اتساقا مع الجو النفسي للسياق لأن قطع الأمل ، واليأس من النجاة عذاب نفسي زيادة على ما هو فيه من العذاب الحسي .

ثانيا: في سياق الحديث عن عدة أصحاب النار :

وهذا الموضع في السورة نفسها غير أن السياق اختلف من الحديث عن الموضع السابق الذي تحدث عن الوليد بن المغيرة واغتراره بماله وانتقام الله منه وما أعده له من العذاب في الآخرة وفي هذا الموضع جاءت في سياق الحديث عن عدة أصحاب النار في قوله تعالى :(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ، كَلَّا وَالْقَمَرِ)[89].

قوله تعالى : { كلا والقمر } قال الفراء : (كلا) صلة للقسم والتقدير أي والقمر وقيل : المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على (كلا) وقيل : يجوز أن تقف عليها ، فتجعلها رداً للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار[90].

وقد جاء تكوين سياقها كالتالي :

الآية التي سبقت (كلا) آية طويلة خالفت نظم الآيات السابقة لها ، واللاحقة ، وقد بدأت بأسلوب القصر الذي بدا كأنه سمة غالبة عليها حيث تكرر أربع مرات بنفس طريق القصر ، وهو النفي والاستثناء الذي يتميز بالقوة في خطاب المنكرين أما الأسلوب الأول فقد حصر خزنة النار في كونهم ملائكة لا يتعداهم لغيرهم من الجن أو الإنس فتأخذهم الرأفة ببني جنسهم ، أو يفكر أحد في القدرة على هزيمتهم (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) الثاني في قوله تعالى :(... وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا...) لحصر جعل عدة الملائكة في تسعة عشر على كونها لفتنة الذين كفروا الذين ظنوا أنهم يستطيعون هزيمتهم لقلة عددهم ،والجملة تتميم في إبطال

توهم المشركين حقارة عدد خزنة النار ، وهو كلام جار على تقدير الأسلوب الحكيم.

إذ الكلام قد أثار في النفوس تساؤلا عن فائدة جعل خزنة جهنم تسعة عشر ، وهلا كانوا آلافاً ليكون مرآهم أشد هولاً على أهل النار أو هلا كانوا ملكاً واحداً ، فإن قوى الملائكة تأتي كل عمل يسخرها الله له فكان جواب هذا السؤال : أن هذا العدد قد أظهر لأصناف الناس مبلغ فهم الكفار للقرآن ، وإنما حصلت الفتنة من ذكر عددهم في الآية السابقة .)[91]

أسلوب القصر الثالث : في قوله تعالى :(...وَمَا يَعْلَمُ جُنُود رَبِّكَ إِلَّا هُوَ...) حيث قصر العلم بجنود الله على الله وحده دون من سواه قال الطاهر بن عاشور : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ، ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب ، وأمور الآخرة من نحو : ما هذا به أبو جهل في أمر خزنة جهنم يشمل ذلك ، وغيره فلذلك كان لهذه الجملة حكم التذييل .

والجنود : جمع جند ، وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ المراد ، وإضافة رب إلى ضمير النبي (صلي الله علية وسلم) إضافة تشريف ، وتعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبي (صلي الله علية وسلم) [92].

أما الرابع : ففي قوله تعالى: (... وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ...) لحصر النار على الإنذار للبشر ، أو حصر عدتها في كونها ذكرى للبشر ، ثم وردت كلا ، وقد وليها في السياق القسم في قوله (كلا والقمر والليل إذ أدبر) وجوابه قوله :(إنها لإحدى الكُبر) وقد كان هذا الموضع من أكثر المواضع التي اختلف فيها العلماء ، وتعددت فيها الآراء لأنها لم تسبق بما يستحق الردع من ناحية ،ومن أخرى جاء بعدها القسم ، فأشبهت أن تكون صلة له ومنهم من نظر إلى المدى البعيد في السياق الذي سبقها ، وأنها صدى له فرأى أنها زجر عن قول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم، وقيل: ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة ، وقال الفراء :هي صلة للقسم..[93]

ورأى ابن هشام أنها بمعنى (ألا) الاستفتاحية ، وأنه يمتنع كونها للزجر ،إذ ليس قبلها ما يصح رده ،وقول الطبري وجماعة إنه لما نزل عدد خزنة جهنم (عليها تسعة عشر) قال بعضهم اكفوني اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر فنزل (كلا) زجراً له : قول متعسف ،لأن الآية لم تتضمن ذلك [94] وقال الفخر الرازي عنها في هذا الموضع: فيه وجوه:

الأول : أنه إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى ؛ لأنهم لا يتذكرون .،**الثاني :** أنه ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا .**الثالث :** أنه ردع لقول أبي

جهل وأصحابه إنهم يقدرون على مقاومة خزنة النار .

الرابع : أنه ردع لهم عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة . .[95].

فهو يرى أنها للردع ، والرد ، والسياق يحتمل الاثنين على ما وجهه ،والمتأمل للسياق يجد أن خيوط المعنى قبلها تتصل بها ، وتتجمع عندها ، فالسياق من بداية السورة ، وإلى أن يصل بمداه إلى (كلا) نسق واحد في تركيب الأساليب ، ودرجة الانفعال ، واتصال المعنى مما يرجح رأي الفخر الرازي.

ثالثا : (كلا) في وصف إعراض الكافرين ، والتحذير من الآخرة :

وردت (كلا) في هذا السياق رداً على الكافرين الذين تمادوا في غيهم ، وعنادهم حين طلبوا من الرسول (صلي الله علية وسلم) أن يأتي كل واحد منهم بصحيفة ،(قال ابن عباس : كانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته ، وأمنه من النار قال مطر الوراق : أرادوا إن يعطوا بغير عمل ، وقال الكلبي : قال المشركون : بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح عند رأسه مكتوباً ذنبه ،وكفارته فأتنا بمثل ذلك وقال مجاهد : أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل : إلى فلان بن فلان ، وقيل : المعنى أن يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا[96] قال تعالى :(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ،كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ، بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً ، كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ، كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ)[97] .

وقد سبقت (كلا) باستفهام في قوله (فما لهم) وهو مستعمل في التعجيب من غرابة حالهم بحيث تجدر أن يستفهم عنها المستفهمون ، وهو مجاز مرسل بعلاقة الملازمة ،والفاء في (فما لهم عن التذكرة معرضين)لترتيب إنكار إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين والتقديم في قوله (عن التذكرة) للعناية مع رعاية الفاصلة أي فإذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال عليه [98].

ومجيء اسم التذكرة الظاهر دون أن يؤتى بضميره نحو : أن يقال : عنها معرضين لئلا يختص الإنكار ، والتعجيب بإعراضهم عن تذكرة الإنذار بسقر بل المقصود التعميم لإعراضهم عن كل تذكرة ، وأعظمها تذكرة القرآن . والتشبيه في قوله (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)لتشبيه حالة إعراضهم المتخيلة بحالة فرار حمر نافرة مما ينفرها ، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس... والسين والتاء في (مستنفرة)للطلب ، وللمبالغة في الوصف مثل : استكمل ، واستجاب ، واستعجب ، واستسخر ، واستنبط أي نافرة نفاراً قوياً فهي تعدو بأقصى سرعة العدو

طلباً للمهرب [99] [100].

وهذا التشبيه يوحي بعدة دلالات :

أ- التشبيه بالحمر يوحي بالبلادة ، والغباء كما هو معروف من حال الحمر ؛ لأنهم رأوا الحق ، وأعرضوا عنه وعرضت عليهم الهداية فتولوا عنها وهذا فعل لا يصدر إلا من غبي .

ب - تشبيههم بالحمر الغرض منه التنفير من فعلهم وتقبيحه لما هو معروف من حال الحمار ، وفيه إشارة إلى أنهم لن يؤمنوا فإن من شأن الحمار عدم الفهم كما أن من شأن النافر المعرض عدم الاستماع أصلا.

ج- تشبيههم بالحمر المستنفرة يشير إلى شدة الهلع مما يشير إلى خوفهم من الحق وإحساسهم بسيطرة الأسلوب القرآني ، وخوفهم من اتباعه مع إصرارهم على ما هم فيه من الضلالة ؛ لأن نفرة الحمر ليست إلى جهة معلومة ، وإنما هو فرار من مكان وزمان معلومين إلى مكان وزمان مجهولين رغبة في الخلاص من المنفر وليس طلبا لهداية ولا وصولا لغاية.

د - التشبيه بالحمر النافرة من قسورة وهو الأسد يعكس شدة الفزع وهو على عادة العرب إذا أرادوا التشبيه في شدة السرعة شبهوا بالحمر الوحشية إذا أحست بما ترهبه .

وتشبيه حال المشركين في فرارهم من هذه التذكرة بهذه الحمر يؤكد الإصرار على الضلال ، ومنع أي منفذ أو سبيل من شأنه أن يوصل للهداية [101].

ثم جاءت (كلا) عندما بلغ السياق مداه صعودا في درجات الإنكار على هؤلاء ردعاً لهم وزجراً ، عن تلك الإرادة وعن اقتراح الآيات قال العلامة أبو السعود (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف[102].

ثم تكررت (كلا) في هذا السياق ، وتكرارها يُصعِّد نبرة الزجر ، ويحافظ على المستوى الحاد الجاد لنبرة الكلام في رد افتراء هؤلاء ، وردعهم عن إعراضهم عن التذكر بالقرآن ،وإن كان ابن فارس يرى أنها في هذا الموضع بمعنى حقا [103] والسياق يناسب معنى الردع فيها لاتصال الموضعين فـ(كلا) ردع ثان مؤكد للردع الذي قبله أي لا يؤتون صحفا منشورة ولا يوزعون إلا بالقرآن .

وجملة (إنه تذكرة) تعليل للردع عن سؤالهم أن تنزل عليهم صحف منشرة بأن هذا القرآن تذكرة عظيمة ، وهذا كقوله تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) . فضمير (إنه) للقرآن ، وهو

معلوم من المقام ونظائر ذلك كثيرة في القرآن وتنكير(تذكرة) للتعظيم [104]

المبحث الثالث : (كلا) في سياق الحديث عن القيامة :

وردت (كلا) في سورة القيامة ،وتكررت ثلاث مرات، ولعل هذا يرجع إلى أمور من طبيعة المعاني في السورة وحال المخاطبين منها أنها تحدثت عن يوم القيامة ، وما فيه من أهوال ،وطبيعة السياق الذي تشع منه مثل هذه المعاني تعلو فيه النبرة ،وتقوى فيه العاطفة ،وتلوح فيه مشاهد متتابعة تأثر السمع ،وتستولي على القلب الوجل المضطرب ،ووجود مثل هذه الأداة في مكان محدد من السياق ،وزمان معين لتتابع الأحداث يكون في غاية الدقة وقمة الوفاء بالمعنى، والغرض كما سنرى في مواضع (كلا)في هذه السورة.

كما تناولت موضوع البعث ،وكيفية إعادة الإنسان ،وعقول المشركين كانت تقابل الفكرة بالرفض المبني على عقيدة فاسدة أو على جحود مطلق ،كما تحدثت عن حب الإنسان للدنيا ،ولما عجل له فيها في مقابل نسيان الآخرة وهو معنى يحتاج إلى التنبيه إليه لعظمة ما يترتب عليه .

أيضا تحدثت السورة عن موقف عصيب يمر به كل إنسان عند الموت وهو -وإن كان مما لا ينكر- لكن لشدة غفلة الناس عن هذه الحقيقة خوطبوا هذا الخطاب .

أولا : في سياق الحديث عن علامات الساعة :

في قوله تعالى :(بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ،وَخَسَفَ الْقَمَرُ ،وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر، كَلَّا لا وَزَرَ ، إلى ربِّكَ يومئذٍ المُسْتَقر)[105]

سبقت (كلا) في هذا السياق بقوله :(بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) و(بل) إضراب انتقالي إلى ذكر حال آخر من أحوال فجورهم والجملة بعد (بل) استئناف ابتدائي للمناسبة بين معنى الجملتين أي لما دعوا إلى الإقلاع عن الإشراك وما يستدعيه من الآثام وأنذروا بالعقاب عليه يوم القيامة كانوا مصممين على الاسترسال في الكفر . وأعيد لفظ (الإنسان) إظهارا في مقام الإضمار لأن المقام لتقريعه والتعجيب في ضلاله وكرر لفظ (الإنسان) في هذه السورة خمس مرات لذلك ، مع ما في تكرره في المرة الثانية والمرتين والرابعة والخامسة من خصوصية لتكون تلك الجمل الثلاث التي ورد ذكره فيها مستقلة بمفادها. واللام في قوله (ليفجر) هي لام الأمر، والإرادة ،وقوله (يسأل أيان يوم القيامة) مستأنفة للتعجيب من حال سؤالهم عن وقت يوم القيامة وهو سؤال استهزاء لاعتقادهم استحالة وقوعه ، والتعريف في (البصر) للجنس المراد به الاستغراق أي أبصار الناس كلهم من الشدة الحاصلة في ذلك الوقت على أنهم متفاوتون في الرعب الحاصل لهم على تفاوتهم فيما يعرضون

عليه من طرائق منازلهم.

قوله : (كلا لا وزر) وردت كلا بعد لمحات من هول المطلع عندما يبرق البصر ويخسف القمر ويجمع مع الشمس في هول فوق وَهْم العبقري صوَّرته الآيات في لمحات خاطفة سريعة تترك الإنسان في حيرة لا يجد منها خلاصا وقد أوقفته عند (كلا) وكأنها تعطي العقل مساحة من الزمن يتدبر فيها ما يسمع لكي لا ترهقه كثرة المعاني وعمقها ، ولكن قبل أن يستريح ويفهم المعنى يجد كلا تسد أمام العاصي كل منفذ يمكن أن تكون مستراحه من هذا الهول ولو في الخيال ،لذلك قال المفسرون عن قوله تعالى (كلا لا وزر) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى يقال للقائل أين المفر يوم يقوله أو هو مقول اليوم على معنى ليرتدع عن طلب الفرار وتمنيه ذلك اليوم ويحتمل أن يكون من تمام قول الإنسان كأنه بعد أن يقول أين المفر يعود على نفسه فيستدرك ويقول (كلا لا وزر) وأيا ما كان فالظاهر أن قوله تعالى (إلى ربك يومئذ المستقر) استئناف كالتعليل للجملة قبله أو تحقيق وكشف لحقيقة الحال والخطاب فيه لسيد المخاطبين (صلي الله علية وسلم) ولا يحسن أن يكون من جملة ما يخاطب به القائل ذلك اليوم ولا مما يقوله لنفسه فيه لمكان يومئذ)[106]

ثانيا : (كلا) في سياق الحديث عن النبأ العظيم

الحديث عن النبأ العظيم حديث عن الساعة والحديث عن الساعة يتسم بالطرافة ، والتشويق ؛ لأنه يتناول معاني غيبية لها فضل تعلق بأمور خارقة فوق توهم البشر ،ونفس الإنسان كلفة بما غاب عنها كما أنها أشد كلفاً بما في المستقبل ،لذلك نرى الآيات الكريمة تبدأ بإثارة سؤال يدور على في عقولهم ، ويجري على ألسنتهم ،ولكنه فوق أفهامهم لذلك لفت أنظارهم إلى مظاهر عظمة الله في الكون كتمهيد للحديث عن حركة الكون عند قيام الساعة وما يتبعها من تغيرات عظيمة قال تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ،،الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ،كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)[107].

والمتأمل لهذا السياق وما سبق من سياقات وردت فيها (كلا)يجد أنها ترد في عظائم الأمور ، وتلفت إلى أمر عظيم في سياق يتسم بالحيوية وقوة الاتصال بين ركني الحوار في السياق ،ففي هذا السياق وردت في إطار الحديث عن النبأ العظيم ،وقد تصدر الاستفهام السياق في قوله :(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) وهو استفهام تفخيم وتعظيم و(عم) أصله عما فحذف منه الألف إما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها ...وما فيها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أي عن أي شيء عظيم الشأن .

وقوله (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المسؤول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره ، وتوجيه أذهان السامعين نحوه ، وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إيراده على طريقة

الاستفهام من علّام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه ، وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ، ويسأل عنه كأنه قيل :عن أي شيء يتساءلون ؟ هل أخبركم به ؟ ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم ؟) (108)

(والتعريف في (النبأ) تعريف الجنس فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول (صلي الله علية وسلم) به وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة ، وجيء بالجملة الاسمية في صلة الموصول في قوله (الذي هم فيه مختلفون) دون أن يقول : الذي يختلفون فيه أو نحو ذلك لتفيد الجملة الاسمية أن الاختلاف في أمر هذا النبأ متمكن منهم ، ودائم فيهم لدلالة الجملة الاسمية على الدوام ، والثبات ، وتقديم (فيه) على (مختلفون) للاهتمام بالمجرور وللإشعار بأن الاختلاف ما كان من حقه أن يتعلق به مع ما في التقديم من رعاية الفاصلة (109)

(وقوله (كلا سيعلمون) وردت كلا زجراً وردعاً لهؤلاء الذين يتسآءلون عن الساعة ،وهم أحد نوعين إما كافر منكر للساعة وسؤاله عنها سؤال المستهزئ ، وليس على سبيل الحقيقة ،لأنه لا يؤمن بها أصلاً ، وإما سؤال مرتاب يحتاج إلى تقرير معناها في قلبه ،وقد جاءت (كلا) زجراً وردعاً لهؤلاء وأعقبها بيان بمظاهر قدرة الله في إدارة الكون وأنه القادر على إحداث الساعة على الوجه الذي أخبرهم به ، وأنكروه ، ففي موقع (كلا) من السياق وما تلاها ما يحقق التنبيه ويثير الفكر في مظاهر قدرة الله الموصلة إلى اليقين بالساعة ومن ثَمْ الإيمان بالله .

قال ابن عاشور (كلا سيعلمون) (كلا) حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالبا في الكلام يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه وهو هنا ردع للذين يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون على ما يحتمله التساؤل من المعاني المتقدمة ، وإبطال لما تضمنته جملة (يتساءلون) من تساؤل معلوم للسامعين .

فموقع الجملة موقع الجواب عن السؤال، ولذلك فصلت ، ولم تعطف ؛لأن ذلك طريقة السؤال والجواب .

والغالب في استعمال (كلا) أن تعقب بكلام يبين ما أجملته من الردع والإبطال فلذلك عقبت هنا بقوله (سيعلمون) وهو زيادة في إبطال كلامهم بتحقيق أنهم سيوقنون بوقوعه ويعاقبون على إنكاره فهما علمان يحصلان لهم بعد الموت : علم بحق وقوع البعث ، وعلم في العقاب عليه (110).

ثم تكررت (كلا) في السياق مرة أخرى ، وإذا كان وجود كلا في السياق مؤذناً بارتفاع نبرة الحوار وقوته ، فإن تكرارها في السياق الواحد يؤكد ذلك ويصعِّد حدة النبرة التي يشتعل معها وجدان المخاطبين ويزداد انتباههم لمعانيه .وقد تكررت

(كلا) في هذا السياق في قوله :(ثم كلا سيعلمون) تكريرا للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد و(ثم) للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء....وقوله تعالى :(ألم نجعل الأرض مهادا ،والجبال أوتادا...) استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقة أثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع ، والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي (صلي الله علية وسلم) كما قيل ،والهمزة للتقرير، والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الإلزام ، والتبكيت (111) .

الفصل الرابع

(كلا) في سياق خطاب الإنسان عامة .

المبحث الأول:

أولا : في سياق ردع الإنسان عن كفره وبيان تقصيره :

وردت (كلا) في سياق الحديث عن الإنسان وتقصيره فيما أمر به وقد سبقها الحديث عن عتاب الله لرسوله الذي اصطفاه لرسالته ثم الحديث عن ملائكة تحفظ الأعمال في كتب إشارة إلى يوم الحساب الذي تنشر فيه هذه الكتب ويجازى أصحابها بما فيها ثم لفتت الآيات نظر الإنسان إلى أصل خلقته ، وطريقه من بطن أمه تنبيها له إلى عدم التكبر ، وهذا أصله ، وتلك طريقه خارجا من مجرى البول مرتين ثم طوت حياته في لمحة لتقرر مصيره إلى جيفة قذرة لا يستر نتنها إلا القبر قال تعالى : (قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ،مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ،مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ،ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ،ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ،كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ،فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)[112]

ثم تكررت (كلا) للمرة الثانية في السورة نفسها ، وقد كان الموضع الأول في سياق عتاب الرسول (صلي الله علية وسلم) وهومن هو منزلة عند الله ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المموضع .

والإشارات التي سبقت (كلا) في هذا السياق ، والتي تلفت الإنسان إلى عدم الغرور ، والكبر ، وتشير إلى تقصيره وأنه لم يقض من أول زمان تكليفه إلى إماتته ، وإقباره ، أو من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده جميع ما أمره فلم يخرج من جميع أوامره تعالى إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما ، تشير إلى أن (كلا) للزجر والردع عن الكفر ، والعناد الذي يحركه الكبر ، والغرور في نفوسهم ، وهذا رأي أبي حيان [113]والألوسي [114] وقد رأى كل منهما اتصالها في المعنى بما سبقها ، ولاحظا أنها ردع عن كفر الإنسان في قوله تعالى :(قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ،مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) وقوله : (لمَّايقض ما أمره) تعليل لهذا الردع ، أما ابن فارس فنظر إلى صلتها بما بعدها ،ورأى أنها تحقيق لقوله (لمَّايقض ما أمره) [115] ومعنى الردع والزجر أليط بالسياق لتقدم الجملة الدعائية ، والتعجيب من كفره في قوله تعالى : :(قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ،مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) ثم تنبيهه على أصل خلقته ، ثم تذكيره بنعم الله عليه ، وتقصيره في أداء ما أمره به فمعنى الردع ، والزجر يتساوق معها بالإضافة إلى أن هذا الردع عن الكفر فيه تأكيد من باب أولى على التقصير في أداء ما أمره الله به فكأنه تحقيق لما بعده .

ثانيا : (كلا) في سياق الحديث عن طغيان الإنسان.

وردت (كلا) في سورة الفجر مرتين الأولى في قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)[116] والموضع الثاني في قوله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) والمتأمل لسورة الفجر يجد أنها اتخذت نمطا مميزا من عدة أوجه : منها الاستفتاح بأسلوب القسم(وَالْفَجْرِ،وَلَيَالٍ عَشْرٍ ،وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ،وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) حيث تعدد المقسم به لفتاً وتنبيهاً وطوى السياق ذكر المقسم عليه ، ليفسره ما بعده ، فهو موضوع الطغيان والفساد ، وأخذ الله لأهل الطغيان والفساد ، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال ثم إن تعدد المقسم به يزيد النفس شوقاً إلى معرفة المقسم عليه وفي ذلك ما فيه من تمهيد للمعنى المراد بالإضافة إلى أن الاستهلال بالقسم يحقق التشويق الذي يوفر للمعنى اليقظة والانتباه ،ثم الاستفهام في قوله تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)[117] وهو تحقيق ، وتقرير لفخامة شأن المقسم بها ، وكونها أموراً جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال ثم الاستفهام التقريري في قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) [118] والمخاطب به النبي - (صلي الله علية وسلم) -تثبيتاً له ، ووعداً بالنصر ، وتعريضا للمعاندين بالإنذار بمثله ، فإن ما فُعل بهذه الأمم الثلاث موعظة ، وإنذار للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب رسل الله قصد منه تقريب ، وقوع ذلك ، وتوقع حلوله .

وجملة (إن ربك لبالمرصاد) تذييل ، وتعليل لإصابتهم بسوط عذاب ،تعليلاً لجملة (فصب عليهم ربك سوط عذاب) تثبيتاً للنبي -(صلي الله علية وسلم) - بأن الله ينصر رسله ،وتصريحاً للمعاندين بما عرَّض لهم به من توقع معاملته إياهم بمثل ما عامل به المكذبين الأوليين[119].

ثم وردت (كلا) في قوله تعالى :(كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) [120] بعد الحديث عن حال الإنسان عندما يكرمه الله بالنعمة ، أو يبتليه بالبلاء ردعاً له ، وزجراً عن هذا الزعم الباطل ، وأن الله لا يرزق العبد الدنيا لكرامته عنده ولا يحرمه الآخرة لغضبه عليه ،وما ساقه من أحوال الأمم السابقة عبرة لهم في أن الطغيان بالمال ، وحبه ، وجمعه من حله ، وحرامه كان سبباً في فساد من قبلهم ، وسبباً لظلمهم غيرهم ، ثم هم يقولون ما قالوا، وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم)انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله ، وكأنه ينبههم إلى أنهم بما يفعلون يسيرون في الطريق نفسه الذي أهلك من قبلهم بسبب حب المال ،وظلم الناس ، وأكل مال اليتيم فجاءت(كلا) للمرة الثانية ردعاً لهم عن ذلك ، وإنكاراً لفعلهم في قوله تعالى (كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً) وفي الآية تنبيه إلى أن كل ما يجمعون من مال مصيره الفناء ؛ لأن الأرض ، وما عليها ستدك دكاً .

كما أن فيها إشارة إلى العقاب الذي ينتظر هؤلاء الطغاة ، والظلمة يوم القيامة ، وبقية الجملة بعد (كلا) وما بعدها استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلاً

للردع ، فدكُّ الأرض ، ومجيء الله ، وملائكته ، ثم المجيء بجهنم مشاهد ترسم الهول ، وتبعث الرهبة ، ويحركها في التعبير عن طريق صوغها في ثوب الفعل ، فيتملاها الوجدان وهي تتحرك فيزداد تأثراً بها بعد أن طرق سمعه طرقة عنيفة بـ(كلا) تجعله في قمة الانتباه ، والسياق الكريم يعلو بإحساسه بالرهبة في دروب القيامة حتى يقف به عند قوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى) حتى ينظر فيما قدم ، ويراجع ما هو فيه من خطأ ، أو تقصير ، ثم يقرع سمعه بقوله (وبرِّزت الجحيم لمن يرى) ليأخذه في حال رهبته ، ويضع أمامه فعلاً بنتيجته واختياراً بعاقبته فيقسم الناس بحسب الميل للدنيا وإيثارها ، والطغيان فيها ،أو الميل للآخرة ،وإيثارها ، وتقوى الله الذي جعل عاقبته الفلاح .

<u>المبحث الثاني : (كلا)في سياق ردع الإنسان عن الغفلة.</u>

وردت (كلا) ثلاث مرات في سورة قصيرة هي سورة التكاثر ، وهي ذات إيقاع عميقٍ مزلزلٍ بدا في معانيها وفي تركيبها ،فمعانيها نبهت الإنسان إلى ما هو فيه من الانشغال بملذات الدنيا ،وشهواتها ، وما هو فيه من التنافس في جمع المال ، وإحراز الجاه ، وتحقيق أسباب المتاع الزائل ، وقد غفل عن حقيقة عظمى تنتظره لا محالة ،وهي القبر تلك القنطرة التي يعبر منها إلى الآخرة ، ثم يهزه هزاً عنيفاً بما سيعلمه من الهول المرتقب عند الانتقال من حالة الغيب إلى حالة اليقين برؤية الجحيم ، مع حساب دقيق على ما أُترف فيه من النعيم في الدنيا ، ولم يؤد شكره ، وتركيب السورة يحكي في دقة عجيبة تتخطى حدود الزمان ، والمكان تنقُّله بين هذه الحالات من النعيم والتنافس فيه في الدنيا ، إلى القبر ، ثم الحشر ، ثم الحساب ، والعقاب تأمل قوله تعالى : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ،كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ،ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ،كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ،ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) [121] .

فقد بدأت بالأسلوب الخبري في قوله ((أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) وإن كان الأسلوب الخبري يتسم بالثقة والهدوء إلا أن معنى هذا الخبر ، والذي قصد به لازم فائدته ،وهو الذم والتوبيخ لمن شغلته دنياه عن آخرته جعل نبرة الخطاب تأخذ في الارتفاع ، ثم أكّدها بالتذكير بالمصير ببيان الغاية التي بلغوها في قوله (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) (وفي ذلك إشارة إلى تحقق البعث ، وفي التعبير بالزيارة إشارة إلى قصر زمن اللبث في القبور ؛ لأن الزائر مهما مكث فمصيره إلى الرحيل (زرتم) والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع .

وورود (كلا) بمدلولها ، وتأثيرها ثلاث مرات يطرق بقوة ، وتتابع على تلك القلوب الغافلة التي شغلتها الدنيا وقد حمل ابن فارس (كلا) في المواضع الثلاثة على الردع [122] ويؤيده كثرة وسائل التنبيه ، والزجر ، والتحذير فقد اشتملت على وجوه

من تقوية الإنذار ، والزجر فافتتحت بحرف الردع ، والتنبيه وجيء بعده بحرف(ثم) الدال على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول ، ثم تكرار حرف الردع ، والتنبيه ، وحذف جواب (لو تعلمون) لما في حذفه من مبالغة ، وتهويل ، وأتي بلام القسم لتوكيد الوعيد ، ثم أكد هذا القسم بقسم آخر فهذه ستة وجوه بالإضافة إلى أن في قوله (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)أعقب التوبيخ ، والوعيد على لهوهم بالتكاثر عن النظر في دعوة الإسلام من حيث إن التكاثر صدهم عن قبول ما ينجيهم بتهديد ، وتخويف من مؤاخذتهم على ما في التكاثر من نعيم تمتعوا به في الدنيا ، ولم يشكروا الله عليه بقوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) أي عن النعيم الذي خولتموه في الدنيا ، فلم تشكروا الله عليه ، وكان به بطركم ، وعطف هذا الكلام بحرف (ثم) الدال على التراخي الرتبي في عطفه الجمل من أجل أن الحساب على النعيم الذي هو نعمة من الله أشد عليهم لأنهم ما كانوا يترقبونه ؛ لأن تلبسهم بالإشراك ، وهم في نعيم أشد كفرانا للذي أنعم عليهم[123]

المبحث الثالث: (كلا) في سياق ردع الإنسان عن حب المال وجمعه

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ، فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ) [124].

من اللافت لنظر المتأمل لمواضع (كلا) في القرآن الكريم أنها بدأت بنبرة الإعتراض والتحدي لذلك المعاند المغرور في قوله تعالى (كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً) [125] بتأكيد التسجيل عليه ثم إمداد العذاب له وآخر هذه المواضع يؤكد بنفس النبرة مصيره ،وأمثاله المحتوم بالنبذ في النار وما أقرب القول المسجل عليهم في أول سورة (الهُمَزة) من الهمز واللمز ، والعقاب المسجل له في آخرها (كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) وقد تركب سياقها من مفردات ذات خصوصية في إثارة الرهبة في الوجدان حملت كثيراً من الألفاظ الموحية بطبيعتها منها (ويل – كلا – لينبذن – الحطمة – نار – الموقدة – الأفئدة – مؤصدة -) وهذه الألفاظ تثير الرهبة في النفوس فالويل علم على العذاب المطبق ، و(كلا) أمارة زجر وردع ، وتهديد بمعونة السياق ، والنبذ طرح المهمل ويوحي بالإهانة ، والنار في سياق كهذا تستدعي في الخاطر لهنها ولظاها دون دفئها وإنارتها ، والموقدة تشعر باستمرارية اللهب والتحريق ، وذكر الأفئدة يوح ببلوغها مكنون الضمائر وبلوغ هولها إلى أعماق النفس ، ومؤصدة توحي بالتأبيد في العذاب ، والإقامة على الهول ، واليأس من الخروج .

ثم إن تراكيب السورة الكريمة في غاية التأثير ، والفعالية ،فالبداية بلفظ (ويل) يثير حال ذكره الوجل ، والرهبة في النفوس مع التنبيه والإيقاظ ، بالإضافة

إلى لفظ العموم (كل) المتصل باللام المشعرة بالهول المحقق لكل من كانت صفته الهمز واللمز وصيغة (فُعَلَة) تدل على الاعتياد فلا يقال همزة أو لمزة إلا لكثير الهمز وللمز.

واستعمال الموصول في قوله (الذي جمع مالا وعدده) لزيادة تشنيع صفتيه الذميمتين بصفة الحرص على المال . وإنما ينشأ ذلك من بخل النفس والتخوف من الفقر .

ومعنى (عدَّده) أكثر من عده أي حسابه لشدة ولعه بجمعه فالتضعيف للمبالغة في عده ، ومعاودته ، ثم جاءت (كلا) إبطالاً ؛ لأن يكون المال مخلداً لهم . وزجرا عن التلبس بالحالة الشنيعة التي جعلتهم في حال من يحسب أن المال يخلد صاحبه أو إبطالا للحرص في جمع المال جمعا يمنع به حقوق الله في المال من نفقات وزكاة.

وقوله (لينبذن في الحطمة) أكَّد الفعل باللام وعبر بالنبذ ، وأكثر ما يستخدم في طرح المكروه ، واستخدم المضارع الذي يستحضر الصورة ويجسِّدها،ثم الجار والمجرور (في الحطمة) حيث يفيد الحرف (في) إلى أنه صار مظروفا والحطمة هي الظرف ، كما يثير تعبير الحطمة بظلاله بعض ما فيها من الهول ، وبدلالته كثيراً من الألم الذي يصعِّد الرهبة منها ، ويعمق الوجل .

ثم إن الاستفهام في قوله (وما أدراك ما الحطمة) تهويل ، وتفخيم يذهب بالنفس كل مذهب في تصوُّر حال هذه الحطمة ، ثم إن إظهار لفظ (الحطمة) في مقام الإضمار زيادة في التهويل يجعلها ملأ الأسماع ، والأبصار كما أن ذكر النار وإضافتها لله في قوله (نار الله الموقدة) للترويع بها ؛ لأنها نار خلقها القادر على خلق الأمور العظيمة لأن حجم الأثر مرتبط بالمؤثر ، وشدة العذاب بحسب قدرة المعذب ، ووصف النار بقوله (التي تطلع على الأفئدة) كأنها تكاشف قلوبهم ، وتعرف ما فيها ، وتأخذها بالعذاب بقدر ما تستحق أو تبلغ بالعذاب إلى أعماق قلوبهم ،ثم وصف النار بقوله (إنها عليهم موصدة ،في عمد ممددة) وتأكيدها بـ(إن) لتهويل الوعيد بما ينفي عنه احتمال المجاز أو المبالغة ثم إن الإيصاد يعني ملازمة العذاب واليأس من الإفلات .

وإذا عدنا إلى (كلا) وموقعها من السياق وأثرها البلاغي نجد أنها جاءت في قمة الاتساق مع بقية الألفاظ فبينها وبينهم تناسب من جهة المعاني لأن قعقعة اللفظ ، ومعنى الزجر ، والردع يناسب جو السورة وموضوعها ويخدم الجو النفسي المسيطر على سمع المخاطبين حال تتابع الآيات في تقرير مضمون السورة بتعداد أوصاف هذا الهمَّاز اللمَّاز المحب لجمع المال قبل (كلا) وبتعداد أوصاف النار التي أعدت له بعدها ، وهي بينهما تلفت النظر إلى عمل ، ونتيجته في صورة تخلع

القلوب حتى لا يبقى فيها بقية من الرغبة في إيذاء الناس ، أو رغبة في الإيصاد على المال بعد سماع حفيف إيصاد أعمدة النار على هذا الشقي .

فقد تجلت بلاغة (كلا) في هذه السورة من ناحيتين : الأولى من ناحية موقعها في السياق ، ومن ناحية أثرها ، فمن ناحية موقعها في السياق سبقت بمقدمة عن عمل طائفة من أهل الإيذاء في المجتمع جمعوا بين الإيذاء باللسان همزاً ، ولمزاً ، وبين الإيذاء بالحرمان للفقراء ، والمساكين من حقهم في مال الله الذي خوَّله إياهم فراحوا يكنزونه كأنهم مخَلّدون ليتقووا به على ظلم الناس ، ثم جاء ما بعد (كلا) كالنتيجة لهذه المقدمة التي سبقتها .

أما أثرها فقد مثّلت (كلا) بجرسها ، ومعناها طرقة عنيفة أوقفت زحف الظالم فعلاً ، واعتقاداً في دروب الظلم ، وهزته هزاً عنيفاً كشف له عن حقيقة ما ينتظره من جزاء هو من جنس عمله حين يلقى مهملاً ذليلاً في نار جهنم بهولها الموصوف بعدها .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بأفصح اللغات، صلاة تصلنا برب البريات، وسلاماً يسلمنا وينجينا من المهلكات، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.
وبعد

قد توصلت الدراسة إلى أن سبب اختلاف النحويين ، والمفسرين في معنى (كلا) يرجع إلى سببين أساسيين :

أحدهما يرجع إلى طبيعة هذا الحرف ، وتكوينه الذي يجعله صالحا لحمل شحنة الانفعال من وجدان المتكلم إلى وجدان المخاطب ، وهذه الشحنة الانفعالية تختلف كماً ، وكيفاً بحسب المثير لها ، وبحسب المخاطب بها ، فنجد أن دلالة (كلا) تتأرجح مع درجة هذا الانفعال بين مجرد الرد ،وبين النفي ، وقد تعلو فتبلغ الردع ، والزجر أو غيره مما ينتج من اختلاف المشاعر .

والسبب الآخر يرجع إلى طبيعة استعمالها ، والسياق الذي ترد فيه ؛ فكونها حرف جواب يجعلها لا تصدر إلا في حوار يتميز بالحيوية ، والتجواب بين المتكلم ، والمخاطب ، ثم إن دلالة (كلا) على الرفض تجعل طبيعة هذا الرفض مرتبطة بالسياق الذي يضفي عليها من ظلاله ، وإشعاعه ما يسمح لدلالة الرفض المفهومة أن تتراوح بين النفي المجرد ، أو الزجر ، والردع ، أو غيرها من المعاني – كما سبق تفصيله – مما جعل كلمة العلماء تختلف في تحديد مدلولها .

وقد تبين خلال الدراسة أن الرأي القائل بتركيبها من(كاف) التشبيه و(لا) النافية ، والذي نقله ابن هشام عن ثعلب رأي مرجوح حيث إنه لم يبد أي أثر لمعنى التشبيه بالنفي في ما وردت فيه في القرآن ، ولم يقل به أحد.

كما تبيَّن خلال الدراسة أيضاً أن أكثر معاني (كلا)وروداً في القرآن هو الردع ، والزجر ،يدل على ذلك كثرة وقوعها في خطاب الكافرين ، والمعاندين بالإضافة إلى نوعية الموضوعات التي وردت فيها .

أما ورودها في خطاب الله لأنبيائه ، فقد وردت على سبيل العتاب ،أو على سبيل الردع ، والزجر ولكن من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) لأنهم منزهون عن الصغائر ، والكبائر فخوطبوا على الأمر البسيط خطاب من أتى كبيراً كما خوطب (صلي الله علية وسلم) حين أعرض عن ابن أم مكتوم في سورة عبس ،وكما ورد في خطابه (صلي الله علية وسلم) في قوله تعالى :(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ، كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ،وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)[126] غير أن الملاحظ على هذا السياق هدوء النبرة ، وأن الخطاب أقرب للعتاب منه إلى الزجر الذي قرَّره بعض المفسرين [127]

وردت (كلا) في سياق الحديث عن النار ، وأهوالها ، والتحذير منها كطرقة عنيفة على قلوب المشركين الغافلة تهزهم هزاً عنيفاً يزيل من قلوبهم جدار الكبر بسوط الرهبة المدوي في بنيان النسق العالي للبلاغة القرآنية المحيطة بمداخل النفوس ، ومخارجها حال إقبالها ، وحال إدبارها .

كما تبين خلال دراسة مواضع (كلا) في القرآن الكريم أنها توفّر على السياق نوعاً من التشويق يحقق له مزيد انتباه ، وإنصات من المخاطب ، ومتابعة للحوار ، وترقب لما قد تفضي إليه في موضوع الحوار .

مثّلت (كلا) في كثير من السياقات نقطة التحول في الحوار من المقدمة إلى النتيجة ، ولحظة التحول من الحوار في الدنيا إلى عاقبتها في الآخرة ، ثم إنها تمثّل لحظة توقف لتيار فكر المخاطب المنساق مع المعنى ليعرف الرد والعاقبة .

كما أشارت الدراسة إلى كثير من الخصائص البلاغية التي يتميز بها سياق (كلا) ومنها حدة الأسلوب ؛لأنها حرف ردع ، وزجر لا تصدر إلا في موقع المواجهة لمتكلم معارض معاند يحتاج إلى طرقة عنيفة يقف عندها السياق ليتحول مجراه من عرض المقدمات الممهدة للقضية إلى تقرير النتيجة النهائية التي يسعى المتكلم لإثباتها عند المخاطب .

وغالباً ما يحتوي السياق الاستفهام بمعنى الإنكار التوبيخي ، أو التكذيبي ، أو التعجيزي ، أو غيرها من معاني الاستفهام القوية ، أو أسلوب النهي أو الأمر - كما مر - .

كما أن وجود(كلا) في السياق علامة على أهمية المعنى ، وحرص المتكلم عليه بالإضافة إلى أنها تشير إلى حيوية السياق ، وقوة الاتصال بين المتكلم ، والمخاطب .

كما أن سياقها يمتاز بشيوع أدوات التوكيد ، وغيرها من الأدوات التي تبرز الانفعال ، وتصعِّد الإحساس بخطر الأمر ،وتنبه إلى ضرورة إعمال العقل في أصل الرد ، وسبب الزجر ،وغالبا ما تُسبق بحوار مفتوح تأتي كرد فاصل فيه كما أنها وردت كثيراً في قضايا خطيرة لها بعد أخروي يتصل بخطأ دنيوي تنبه إليه .

وهي حرف له طبيعة خاصة في الاستعمال ، وفي نوعية الكلام الذي يرد فيه ، والمعنى الذي يبثه ، وجرس خاص يفارق غيره في سمع المخاطب لما يوحي به من انفعال ، ومعارضة، أو تأييد ومعاضدة .

وأخيراً

<u>(سبحانك اللهم ، وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ، ونتوب إليك)</u>

فهرس المراجع

- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر / ت :محمود محمد شاكر / الطبعة الأولى 1412 هـ 1991 م / مطبعة المدني بالقاهرة .
- أسرار التكرار في القرآن (المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان /المؤلف : تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني ت 505 هـ) دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا / طبعة دار الفضيلة / القاهرة .
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / د : حسن طبل / طبعة دار الفكر العربي / العربي / الطبعة الولى 1418 هـ 1998م .
- الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز/ للعز بن عبد السلام/ طبعة دار الفكر دمشق.
- الأصول في النحو / المؤلف : أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي /3 / 127/ تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي /الطبعة الثالثة ، 1988/ الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (المؤلف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري) الناشر : دار الفكر – دمشق .
- الإيضاح في علم البلاغة /الخطيب القزويني / ت : محمد عبد المنعم خفاجي / الطبعة الثالثة / دار الجيل/ بيروت .
- البرهان في علوم القرآن (محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1391.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)(محمد بن محمد العمادي أبو السعود / الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي /الطبعة الثانية / دار الفكر – سنة 1403 هـ 1983م .
- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور الطبعة العاشرة / دار سحنون للطبع والنشر – تونس .
- تفسير القرآن (المؤلف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني) تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد/ الطبعة الأولى ، 1410 هـ/ مكتبة الرشد – الرياض .
- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. للشيخ /محمد رشيد رضا / القاهرة: دار المنار.
- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي / الطبعة الثالثة / دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري / طبعة دار المعرفة – بيروت.
- تفسير مجاهد (المؤلف : مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج) ت : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي / دار المنشورات العلمية – بيروت .
- الجنى الداني في حروف المعاني/لحسن بن قاسم المرادي /ت: طه محسن بغدادي/ 1396هـ - 1976م .
- دلائل الإعجاز / الإمام عبد القاهر / ت : محمود محمد شاكر / الطبعة الخامسة / مكتبة الخانجي القاهرة / 2004 هـ .
- دلالات التراكيب /دراسة بلاغية/ محمد محمد أبي موسى/ الطبعة الأولى/مكتبة وهبة / القاهرة/1399هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل/ الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير (عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) الطبعة الثالثة ، 1404 هـ/ المكتب الإسلامي - بيروت
- *السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني/ زيد عمر عبد الله / بحث منشور بمجلة جامعة الملك سعود، م 15 ، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية .*
- شروح التلخيص، وبهامشها الإيضاح للخطيب القزويني ،وحاشية الدسوق على شرح السعد / طبعة دار الرشاد الإسلامي – بيروت .
- قواعد الترجيح عند المفسرين/ الحربي حسين بن علي/ طبعة :1. الرياض: دار القاسم، 1417هـ.
- كتاب (كلا)وما ورد منها في القرآن الكريم لأحمد بن فارس (ضمن ثلاث رسائل تصحيح وتعليق عبد العزيز الميمني الراجكوتي) الناشر : قصي محب الدين الخطيب /طبعة المطبعة السلفية/ القاهرة – سنة 1387هـ .
- لسان العرب (المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) الطبعة الأولى / دار صادر – بيروت .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري) تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله/ الطبعة السادسة / 1985/ دار الفكر - بيروت.
- مناهل العرفان في علوم القرآن / المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني تحقيق مكتب البحوث والدراسات / الطبعة الأولى ، 1996/ دار الفكر - بيروت.
- الموافقات في أصول الشريعة/ لأبي إسحاق الشاطبي/تحقيق عبد المنعم إبراهيم. ط1. مكة المكرمة: مكتبة الباز، 1418هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت 885 هـ)طبعة دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
- النهاية في غريب الحديث والأثر البن الأثير / تحقيق : طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحى / ط.المكتبة العلمية / بيروت.

الهوامش

1. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر / 4 / ت محمود محمد شاكر / الطبعة الأولى 1412 هـ 1991 م / مطبعة المدني بالقاهرة .
2. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. للشيخ /محمد رشيد رضا / 1/ 22/ القاهرة: دار المنار، د.ت.
3. [3]قواعد الترجيح عند المفسرين/ الحربي حسين بن علي/ 1/ 98/ ط1. الرياض: دار القاسم، 1417هـ.
4. الموافقات في أصول الشريعة/ لأبي إسحاق الشاطبي/3 /855 تحقيق عبد المنعم إبراهيم. ط1. مكة المكرمة: مكتبة الباز، 1418هـ.
5. دلالات التراكيب /دراسة بلاغية/ محمد محمد أبي موسى/ 112 / ط1. القاهرة: مكتبة وهبة، 1399هـ.
6. الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز/ للعز بن عبد السلام/277/1 /دمشق: دار الفكر .
7. ينظر السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني/ زيد عمر عبد الله / بحث منشور بمجلة جامعة الملك سعود، م 15 ، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (2)، ص837
8. الجنى الداني في حروف المعاني/لحسن بن قاسم المرادي /526 /ت: طه محسن بغدادي/ 1396هـ - 1976م .
9. ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن / المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ : 1ص: 152/ تحقيق : مكتب البحوث والدراسات / الطبعة الأولى ، 1996م / الناشر : دار الفكر - بيروت (بتصرف) .
10. ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي(محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله) جـ : 4 ص :315 تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1391هـ.
11. ينظر لسان العرب (المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) 15 /227/ الطبعة الأولى / دار صادر – بيروت .
12. المدثر / 32 .
13. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري) جـ: 1/ ص: 249 / تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله/ الطبعة السادسة ، 1985/ دار الفكر - بيروت.
14. كتاب (كلّا)لابن فارس/ ص : 7 (ضمن ثلاث رسائل تصحيح وتعليق عبد العزيز الميمني الراجكوتي) الناشر : قصي محب الدين الخطيب – طبعة المطبعة السلفية – القاهرة – سنة 1387هـ .
15. مريم / 79:77 .
16. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري جـ :2ص :523 / طبعة دار المعرفة – بيروت .
17. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري / جـ : 1 ص : 250 .
18. ينظر كتاب (كلا) لابن فارس / ص : 10 (ضمن ثلاث رسائل تصحيح وتعليق عبد العزيز الميمني الراجكوتي) الناشر : قصي محب الدين الخطيب – طبعة المطبعة السلفية – القاهرة – سنة 1387هـ .

19. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت 885 هـ)/ 12/ 242 / طبعة دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
20. مريم / 81، 82 .
21. تفسير الكشاف للزمخشري جـ : 2 ص: 524.
22. مغني اللبيب لابن هشام جـ :1 ص :250.
23. سبأ / 27 .
24. ينظر التحرير والتنوير / الطاهر بن عاشور / 22/ 196/ الطبعة العاشرة / دار سحنون للطبع والنشر – تونس .
25. ينظر كتاب كلا لابن فارس / 11.
26. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي / 7 / 280 . الطبعة الثانية / دار الفكر – سنة 1403 هـ 1983م .
27. المدثر / 11: 17 .
28. فتح القدير جـ 5 ص : 475
29. التحرير والتنوير /29 / 305
30. ينظر تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)(المؤلف : محمد بن محمد العمادي أبو السعود جـ : 9/ 75 / الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
31. ينظر كتاب كلا ص : 11، 12 .
32. الانفطار /6 : 9 .
33. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (المؤلف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري) جـ 1 / 326 الناشر : دار الفكر – دمشق .
34. دلائل الإعجاز / الإمام عبد القاهر / ص : 8 / ت : محمود محمد شاكر / الطبعة الخامسة / مكتبة الخانجي / 2004 هـ
35. التحرير والتنوير 30 / 174 .
36. كتاب كلا لابن فارس ص 13
37. ينظر البحر المحيط لأبي حيان جـ: 8 ص 437
38. ينظر الإيضاح للخطيب القزويني / 1/ 135/ ت: محمد عبد المنعم خفاجة / الطبعة الثالثة / دار الجيل – بيروت .
39. المطففين / 1 : 15 .
40. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / جـ 5 / صـ 236. تحقيق : طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحى / ط.المكتبة العلمية / بيروت.
41. ينظر تفسير أبي السعود جـ : 9 ص : 124
42. الإسراء / 78 .
43. ينظر تفسير التحرير والتنوير 30 / 193
44. ينظر تفسير أبي السعود 9 / 126 .
45. ينظر كتاب كلا ص : 13.
46. ينظر تفسير أبي السعود جـ: 9 ص :126
47. تفسير القرآن (المؤلف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني) 3 / 355/ تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد/ الطبعة الأولى ، 1410 هـ/ مكتبة الرشد – الرياض .
48. ينظر مختصر سعد التفتازاني – ضمن شروح التلخيص – جـ : 2 ص : 214

49. ينظر تفسير أبي السعود جـ : 9 ص : 127
50. تفسير مجاهد (المؤلف : مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج) 2/ 738 / ت : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي / دار المنشورات العلمية – بيروت .
51. التحرير والتنوير 30 / 198 .
52. التحرير والتنوير /30 / 201 .
53. المطففين / 18 .
54. ينظر كتاب كلا ص 13 .
55. تفسير أبي السعود/ 9 / 127
56. الشعراء/ 14 : 15 .
57. ينظر كتاب كلا ص : 11.
58. 58 ينظر التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي / 24 / 124/ الطبعة الثالثة / دار إحياء التراث العربي – بيروت .
59. تفسير أبي السعود جـ : 6 ص : 237
60. الشعراء 61: 62 .
61. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري) جـ: 1/ ص: 249 .
62. 62 تفسير القرطبي / 14 / 300 / طبعه: دار احياء التراث العربي بيروت- سنة: 1405 - 1985 م / لبنان .
63. المعارج / 15
64. المعارج 36 :40 .
65. تفسير أبو السعود جـ 9: ص : 34
66. القيامة / 16 : 30 .
67. الحاقة /25 ، 26 .
68. عبس / 5 : 23 .
69. ينظر التحرير والتنوير 30 / 108 بتصرف
70. ينظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / د : حسن طبل / 130 / طبعة دار الفكر العربي / العربي / الطبعة الولى 1418 هـ 1998م
71. العلق / 1: 7 .
72. العلق / 7 .
73. البحر المحيط 8 / 493 .
74. كتاب كلا ص : 13 .
75. ينظر لسان العرب (المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) 15 /227/ الطبعة الأولى / دار صادر – بيروت .
76. تفسير أبي السعود ج: 9 ص : 179
77. العلق / 19 .
78. المؤمنون / 100 .
79. الأنعام / 28 .
80. تفسير الكشاف للزمخشري /: جـ: 1 ص: 823.
81. مغني البيب جـ:1 ص: 251

82. ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي جـ : 6 ص : 421 /الطبعة الثانية / دار الفكر – سنة 1403 هـ 1983م .
83. القيامة /26 : 30 .
84. البحر المحيط لأبي حيان 8/ 389 .
85. تفسير أبي السعود جـ : 9 ص: 67
86. المعارج / 11 : 18 .
87. التحرير والتنوير جـ : 29 ص : 126 .
88. ينظر كتاب كلا ص : 11 .
89. المدثر / 31: 32 .
90. تفسير القرطبي جـ : 19 ص : 98 .
91. ينظر التحرير والتنوير /29 / 313 .
92. التحرير والتنوير 29 / 318 .
93. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل/ جـ : 29ص :130 / الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
94. ينظر مغنى اللبيب جـ : 1 ص : 251 .
95. التفسير الكبير للفخر الرازي / جـ : 30 / ص : 208 .
96. تفسير القرطبي جـ 19 ص :81
97. المدثر / 49: 54 .
98. تفسير روح المعاني جـ: 29 ص : 133
99. لتحرير والتنوير 29 / 329 .
100. ينظر الأصول في النحو / المؤلف : أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي /3 / 127/ تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي الطبعة الثالثة ، 1988/ الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت .
101. التحرير والتنوير / 29 / 331.
102. تفسير أبي السعود جـ :9 ص: 63
103. كتاب كلا ص : 13
104. التحرير والتنوير 29/ 332
105. القيامة / 5 : 11 .
106. تفسير روح المعاني جـ: 29 ص : 140
107. النبأ / 1 : 5 .
108. تفسير أبي السعود جـ : 9 ص: 84
109. تفسير التحرير والتنوير 30/ 11 .
110. التحرير والتنوير 30 / 12 .
111. تفسير أبي السعود جـ : 9 ص : 86
112. عبس / 17 : 24 .
113. 113 ينظر البحر المحيط 8 / 429.
114. روح المعاني 30 / 45 .
115. ينظر كتاب كلا ص : 13
116. الفجر / 17 .

117.الفجر / 5 .
118.الفجر / 6 .
119.التحرير والتنوير 30 / 317
120.الفجر / 17 .
121.التكاثر / 1: 5 .
122.ينظر كتاب كلا ص : 14
123.التحرير والتنوير 30 / 521 .
124.الهمزة / 1 : 9 .
125.مريم 79 .
126.القيامة / 16 : 30 .
127.ينظر رأي أبي السعود في معنى كلا في هذه الآية ص :25 من هذا البحث .